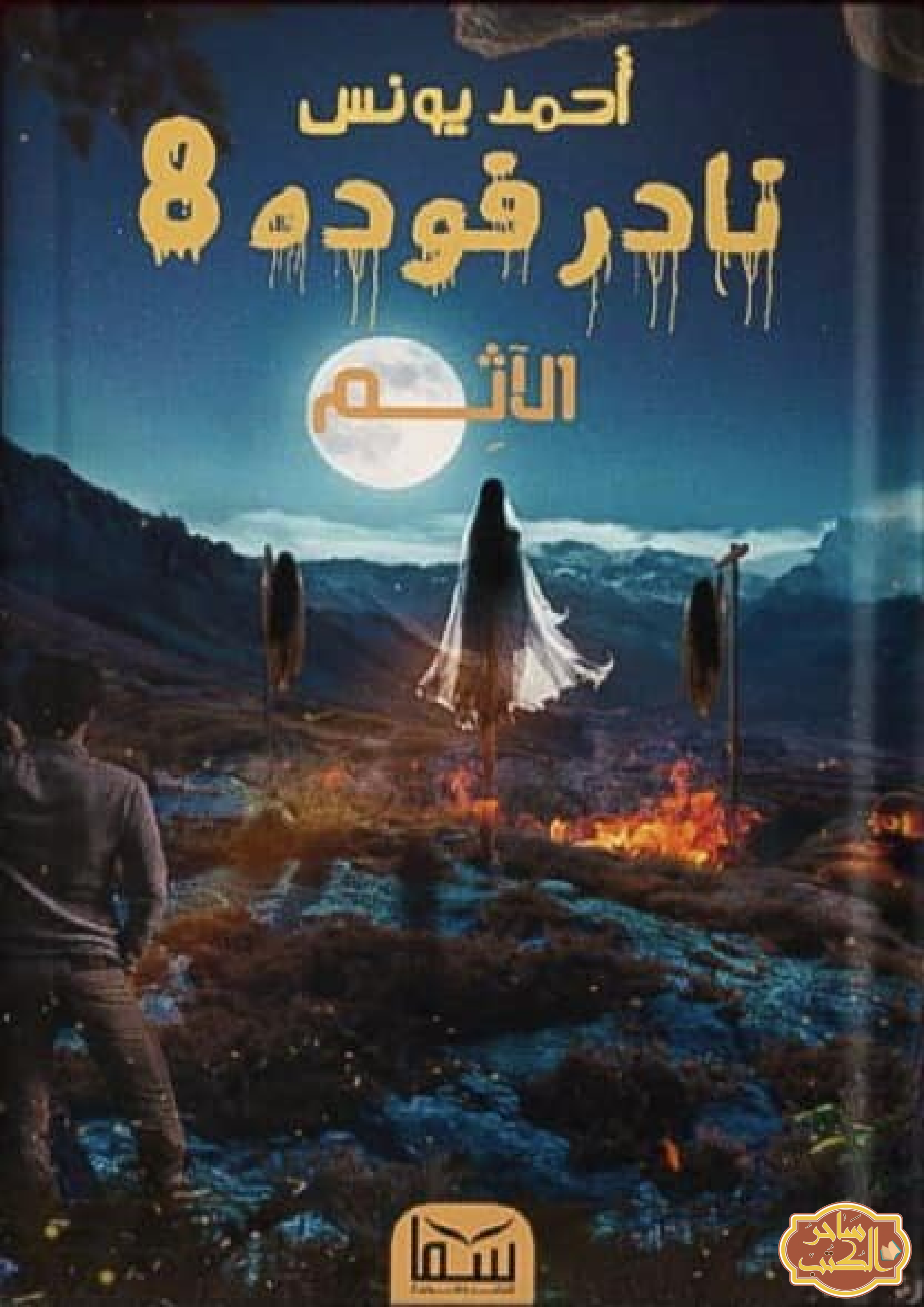

أحمد يونس
نادر فوده 8
الآثم

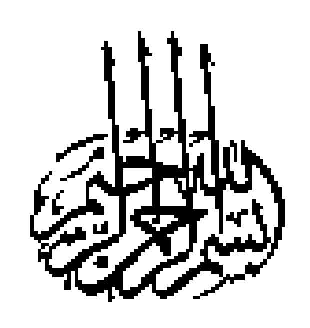
نادر فودة

8



أحمد يونس





العنـــــوان : الأثم

المؤلـــــف : أحمد يونس

إشـــراف عـــام : علاء محمد رضا قاسم





جمهورية مصر العربية

15 ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة

تليفون: 24517300 202+ - 01271919100 2+

email: samanasher@yahoo.com - publishing@sama-publishing.com

مدون الرواية: حسن الحضري

إخراج داخلي : حمدي إدريس

الترقيم الدولـــي: 978 - 977 - 781 - 593 - 2

رقـــم الإيـــداع: 28378 / 2023

أحمد يونس

اهداء

إلى أصحاب الفضل فيما حققته..

إلى كل قارئ..

إلى كل مستمع..

إلى كل محب ..

إلى (عيلة أحمد يونس) الغالية ..

وأنا أتم عامي الـــ ٤٣..

أهديكم هذه الرواية ..

وأتمنى أن تليق بمكانتكم في قلبي ❤

أحمد يونس



(مقدمة)

(قبل صدمة البداية)

نادر: أيوة يا أمنية خير؟

أمنية: إنت مابتردش على المكالمات ليه؟

،إحنا بقالنا فوق الاسبوعين بنتصل بيك.

نادر: علشـــان مش فاضي للهيافـــة بتاعتكوا، خلّصي عايزة إيه؟

أمنية: هو إيه الطريقة دي؟!

على العموم أنا بكلمك علشان الشيخ لطفي تعبان جداً وطلب يشوفك

نادر(ساخراً): ماهو على طول تعبان، إيه الجديد؟

أمنية: بقولك تعبان وعايز يشوفك إنت فاهم أنا أقصد إيه؟

نادر: هيموت يعني؟ الموت علينا حق

أمنية: نادر إنت نسيت إن الشيخ لطفي هو إللي علّمك كل حاجة وقرّبك من ربنا وله أفضال عليك

نادر(مقاطعاً): أنا محـــدش له أفضال عليّا أنا كل إللي وصلتله ده بتعبي ومجهودي، وإن كان على شـــغل ال 3 ورقات فمش هو إللي علّمهولي.

أمنية: براحتك، أنا مش عارفة إيه إللي جرالك!

نادر: خلاص ماتعيطيش إديني شـــهر كده ولا حاجة وهنزل أشوفه.

- أنهىَ نـــادر المكالمة لتتحدث إليه عُلا الســـكرتيرة الجديدة في جريدة عُمق الحدث.

عُلا: دي أمنية أختك إللي كُنت بتكلمني عليها يا أستاذ نادر صح؟

نادر: أيوة أمنية أختي الزنانة.

عُلا: ملكش حق تكلمها كده

نادر: سيبك وقوليلي إيه سر حلاوتك النهادرة؟

عُلا(بخجل): بجد؟! أخدت بالك إن أنا غيّرت تســـريحة شعري؟

نادر: بصراحة لأ، بس إنتـــي كده كده حلوة علي طول، فاتحتي ماما في موضوعنا؟

غُلا: نادر دي المرة الرابعة إللي تدي ماما معاد علشان تقعد معاها وماتجيش وكل مرة بعُذر جديد

نادر(مُبتســـماً): إيه ده همّ مش 6 مرات يبقى فاضلنا لسه مرتين.

غُلا: نادر إنت بتتسلى بيّا؟

نادر: غُلا بلاش شغل الدراما ده، أنا إللي طلبت اتقدملك مش إنتي إللي طلبتي، بقولك إيه صحيح أخبار ماهر إيه؟

غُلا: ليه هو إنت مش عارف إنه إترفد بسيبك؟

نادر: ياشــيخة حرام عليكي أنا كل إللــي عملته إني سجلت له وهو بيشتم في السياسة التحريرية للجورنال وبعتّ التســـجيل لمن يهمه الأمر كده أبقى أنا إللي رفدته بردو؟

غُلا: نادر ممكن نقفل الموضوع ده علشان أنا من الأول رافضـــة طريقة تعاملك مع الكل مؤخـــراً، نادر إنت الكل

كان بيتحاكـــي بأخلاقك قبل ما أجي، دلوقتي الكل حرفياً بيخافوا منك

نادر: لأ حضرتك أنا قررت أوريهم نادر الجديد

غُلا: تمام يا نادر على العموم ماما مستنياك النهاردة الساعة 7، أنا قايمة أشوف شغلي

نادر: طب مش ناسية حاجة؟

غُلا(بخجل): حاجة إيه؟

نادر: الملف إللي طلبته منك

غُلا: يا نادر إنت بتطلب مني طلب مستحيل، إزاي أدخل مكتبهُ وأسرقهولك

نادر: البنات مابتغلبش يا لولو

غُلا(غاضبة): بعد إذنك يا نادر

ماتستغربوش من إللي قرأتوه لأن أنا نفسي وأنا بكتب ليكم الرواية دي مصدوم من نفسي، بس كل إللي هطلبه منكم سِـــعة صدر وصبر لأن إللي جاي كله مسار عكس التيار.

- أنـــا نادر فودة الصحفي بجريدة عُمق الحدث باب ما وراء الطبيعة

- أنا الصحفي الذي عاندته الدنيا وكلما ظن أنها فتحت له ذراعيها اكتشـــف أنها تحكم قبضتها عليه حتى تُنهيه تدريجياً.

المكالمة إللي شوفتوها بيني وبين أختي أمنية الحقيقة مكانتش المكالمة الأولى سواء معاها أو مع غيرها.

نفس الــــردود الجافة، نفس الكلمات القاســـية، نفس الفتور في المشاعر مع الجميع.

أنا مش فاكر إتغيرت إمتى، لكن فاكر كويس كل المواقف إللي مرت عليّا على مدار سنتين من بعد آخر رواية قرأتوها ليا، سامحوني لو حسيتوا إن كلامي غير مترابط وسردي غير متناسق يمكن في الأخر ألاقي عندكم عُذر أقدر أقوله.

الفصل الأول

(عودة مدبولي الساعي)

دخل مدبولي الســـاعي على نادر بكوب عصير البرتقال المعتاد لنادر وأخرج من جيبه خطاب وأعطاه إياه.

نادر: هات يا وش الفقر

مدبولي: إنت ليه مش عاوز تصدق إني توبت؟

نادر: علشان يموت الزمّار وصوابعه بتلعب يا حلو

مدبولي: بس إللي مات مش زمّار يا أســـتاذ نادر، إللي مات ده إبني، وهو بيموت بين إيديّا حلّفني أبطّل كل حاجة بتغضب ربنا

نادر: يعني مـــش عايزني أكتب عنك بقى؟ ده إنت كُنت كُل أما تقابلني تقرفني بحكاية إني أكتب عنك ولا ناسي؟

مدبولي: بقولك إبني مات إنت مابتحسش؟

نادر: أنا مش هحلـــك يامدبولي غير لما تديني الكتاب إياه

مدبولي(متعجبـــاً): بقولك ده كتـــاب كُفر ولو قريته هتدخل في طريق ضلمة عُمرك ما هتقدر تخرج منه أبداً

نادر: ليه هو أنا أهبل زيّك؟

مدبولي: كتّر ألف خيرك

نادر: علي العموم أنا إللي رجعتك الشغل وأنا بردو إللي هقطع عيشك لو ما إدتنيش الكتاب ده

مدبولي: أبـــوس إيدك أنا مابقـــاش حيلتي مليم غير المرتب إللي هنا لو مشيتني هجوع

نادر: تبيع الكتاب ده بكام يا مدبولي؟

مدبولي: كان يوم أسود يوم ما حكيتلك عن الكتاب ده كُنت فاكرك عاقل ومش هتطمع فيه

نادر: إخلص

مدبولي: قولي هتعمل بيه إيه؟

نادر: مايخصكش، قدامك مـــن هنا لبكرة يا الكتاب يا الرفد وهات الجواب وحط العصير وغور يلاّ.

نادر(مُتحدثاً إلى نفسه): هتجيبه يامدبولي بكيفك أو غصب عنك.

(مشهد مُكرر ونبوءة مُبهمة)

خرجت من الجورنال علشان ورايا كذا مشوار عايز أعملهم وكل إللي فـــي دماغي إزاي أخد الكتاب ده من مدبولي، أينعم

أنا مش متأكد من كلام مدبولي ليّا قبل كده عن قدرات الكتاب ده بس مدبولي القديم كان دايماً بيحب يفتخر بعمايله السودا وكـــون إنه قِدر يعمل كل المصايب دي ســـواء إللي معايا أنا وهالة أو مع غيري بالكتاب ده فده مالهوش غير معنى واحد، الكتاب ده عبارة عـــن كنز والغبي ده مش عارف قيمته ولازم الكتاب ده يقع في إيد حد زيّي يستغله صح.

خلصت مشـــاويري وكنت ماشـــي في شـــارع هادي وكانت الســـاعة حوالي 5 ونص المغرب ســـمعت دوشة وزعيق وشـــوفت مشـــهد بيتكرر قدامي بكل تفاصيله، محل فراخ مشـــوية، العُمّال إللي فيه بيطردوا واحدة ست عجوزة وبيقولوا لها امشـــي من هنا يا وش النحس إحنا ما بنوزعش أكل ببلاش، المشـــهد ده شوفته قبل كده مع إختلاف الأكل، المرادي فراخ مشوية والمرة إللي فاتت كان كُشري والقاسم المُشـــترك هو الست العجوزة إللي لابسة جلابية وطرحة سودا وضهرها محني من الزمن وبتمشي بصعوبة وفي إيدها عصاية خشـــب بتسند عليها، عرفتوا مين الست دي؟ الست دي تبقى جوهر

جريت عليها وإللي أول ما شـــافتني فرحت ودار بيڈا الحوار الأتي:

جوهر: إزيك يا نادر يابني، كل ده ما أشوفكش؟

نادر: هو أنا أعرفلك عنوان ياســت جوهرعلشان أجيلك كده كده بنتقابل بالصدفة، عاملة مشاكل وقلق ليه؟

جوهر: مـــش عاوزين يدوني فرخة جاتهم الســـم لما يهري بطونهم

نادر(ضاحكا): إن كان على الفرخة بسيطة هجيبهالك شوفي عايزة إيه تاني أجيبه بالمرة

جوهر: عوزاك ترجع عن إللي في دماغك

نادر(مُتعجبا): بدأنا الكلام إللي مش مفهوم بقى

جوهر: إللي بتحفر عليه هتاخده والله يكون في عونك على شره و أذاه

نادر: من غير ألغاز الله يباركلك تقصدي إيه؟

جوهر: وريني إيدك يا واد يا نادر

تفحصت جوهر كف إيدي وقالتلي:

- 3 حزاني وحُزنك هيخرج من الخزانة

- طريق مامنوش خروج، الحُزن عليك مقدّر ومكتوب

- ربك ما بيتعاندش يا نادر

نادر: قلقتيني ياجوهر

جوهر: بير اســـــود مالوش قرار، و وقوعك فيه مبقاش

إختيار

هتأذي أقرب الناس ليك.. و برغم كده كلهم في ضهرك

لحد ما ربنا يشفيك

أذاك هيطول الحبايب والقرايب وأهلك إللي جابوك

وفي وقت الشدة هايتكاترو كلهم عليك يمكن يلحقوك.

وهات يلاّ الفرخة علشان أنا جعانة

نادر: عُمـــرك ما قابلتيني وقولتلـــــي كلام أفهمه دايماً

بفسر كلامك بعد خراب مالطا

جوهر: الفرخة وإلا همشي

نادر: حاضر ياستي.

- ودخلت جبتلها الفرخة ورجعت علشـــــان أحاســـــب

طلعت لقيتها فص ملح وداب.

روّحت البيت ودماغي عمّالة تودي وتجيب ما أخبيش عليكم أنا مش فـــارق معايا حد يتأذي أنـــا إللي يهمني دلوقتي نادر فودة وبس، علشان كده شِلت كلام جوهر من دماغي وما فكرتش فيه تاني.

دخلت نمت علشان الصبح هيكون ليّا مع مدبولي كلام تاني.

الســـاعة 8 ونص الصبح كُنت على مكتبي برتّب ورقي فتحت الدرج طلّعت منه الجواب بتاع إمبارح علشان أقراه.

- فتح نادر الجواب وبدأ يقرأ..

إلى أستاذ نادر فودة..

أنا ببعت بعدما دلوني إن حضرتك الوحيد إللي تعرف مشايخ يقدروا يساعدوني في مشكلتي.

وأنا عارفة إن شرط حضرتك إنك تُنشر القصة بتاعتي بس ياريت تكون بدون ذكر إسمي.

أنا مش بعـــرف أعبّر عن إللي عـــاوزة أقوله بالكتابة، ممكن أقابل حضرتك وأحكيلك كل حاجة

أرجوك ساعدني أنا فكرت أكتر من مرة في الإنتحار

أرجوك إتصل بيّا أي وقت إنشالله نص الليل

رقم تليفوني 0122

- قفل نـــادر الجواب وطلّع موبايله وإتصل على طول
بالرقم

نادر: أيوة ياستي معاكي نادر فودة

صاحبة الجواب: الحمد لله .. الحمد لله

نادر: طب ياســـتي يرحمكم الله، هتقوليلي إسمك ولا
إيه؟

صاحبة الجواب: أنا بسنت

نادر: أهلاً يا بسنت، إنتي منين؟

بسنت: من عابدين

نادر: كويس قريبة من شقتي

بسنت: أفندم؟

نادر: أقصد يعني قريبين من بعض ونقدر نتقابل

بسنت: ياريت بجد

نادر: فاضية الساعة 6؟

بسنت: موافقة نتقابل فين؟

نادر: في أي كافية في وسط البلد، اوصلي وكلميني وهوصلك سهل

- غادر نادر مكتبه متجهاً لوسط البلد .. وبعد مكالمة تانية مع بسنت كان في المكان وقاعد معاها على ترابيزة 3 في الكافية

نادر: صوتك حلو بس شكلك أحلى

بسنت: متشكرة كتر خير أحكي لحضرتك إمتى؟

نادر: مستعجلة ليه، إحنا قاعدين مع بعض شوية نتعرف على بعض

بدأت بسنت تقلق من نظرات نادر وطريقة كلامه ..

بسنت: لأ أنا عاوزة أحكيلك علشان تقولي أعمل إيه

نادر: مفيش مشكلة أنا جاي علشان أسمعك، إتفضلي

بسنت: طب أنا إللي فهمته من إللي رشحوك ليّا إنك بيكون معاك جهاز بتسجل عليه و ورق وقلم علشان بتكتب

نادر(ساخرا): إللي قالولك! هو إنتي أصلاً ما سمعتيش عني؟!

بسنت: أسفة أنا إللي عايشاه مش مخليني أعرف أتابع أي حاجة

نادر: ولا يهمـــك إللي قُدامك مخـــه دفتر مش محتاج أسجل حاجة

بسنت: براحتك هو كان علشانك أصلاً

نادر: إحكي يا بوس بوس

- زاد إرتياب بسنت من نادر أكتر وخصوصاً إن كل إللي إتحكى لها عنه إنه شخص جاد جداً وبتاع شغل وعمره ما كان غير كده أبداً، لكن إللي هي شايفاه عكس ده تماماً.

الفصل الثاني

(لا زلتُ آنسة)

أنا واحدة زي كتير ضحية تربية غلط وفكر رجعي متخلف عملت كل إللي أقدر عليه علشان أخرس الكل.

أنا عندي 37 ســــنة ولا زلت آنســــة ... في عُرف العقل ده نصيب وفي وقت هلاقي الشـــخص المناســـب ليّا وفي عرف الدين (كل شئ بميعاد).

لكن في عُرف أمي أنا مصيبة متحركة في البيت وكل يوم بيعدي عليّا هو إضافة لأحزان وآلام لأمي لا حصر لها!

عايشة ليل نهار علشان أسمع جُمل مُكررة من المعارف والقرايب لدرجة إني ممكن أسمعّها لك.

- مش هنفرح بيكي؟

- هي الرجالة جرالها إيه؟

- إنتي مابتروحيش أفراح ليه علشان تتشافي؟

- ماتتجوزي واحد مطلق أهو ضل راجل ولا ضل حيطة يابنتي.

- جايبالك عريس أرمل بس معاه 3 عيال.

- جايبالك عريس عنده 52 سنة بس بصحته.

كل ده داير حواليّا، لكن أمي كانت دايرة في فلك آخر.

ماما فضلت تدوّر في ســـكك الدجالين (مش الشيوخ) وأهو كلهم بيقولوا لهم يا سيدنا الشيخ.

لحد ما جت في مرة وقالتلي بكرة هنروح لواحد يمكن نحسك يتفك؟

هل متخيل إني يا أستاذ نادر إني أجرؤ أرفض؟

هسمع وابل من التوبيخ من أمي الحبيبة.

وتاني يوم كُنّا في القلعة عند حلّال العُقد..

ولابسين عبايات سودا زي ما إشترط على ماما..

وقفنا قدام الباب وكانت الساعة حوالي 9 بالليل وطلعت لنا واحدة ست فتحت لأمي كيس أسود فلاقيت ماما خرّجت من معاها حاجة ملفوفة في جورنال وبتحطها في الكيس بسرعة علشان ماخدش بالي..

بعدها ســـمحت لنا بالدخول، حاولت أسأل ماما إنتي حطيتي إيه في الكيس الأسود فتوّهت في الكلام تماماً.

قعدنا في أوضة إضاءتها خافتة جداً على دكة خشـــب مساميرها كل أما أتحرك تنتش العباية تقطعها.

وجابت الست دي لينا ســبحتين عمري في حياتي ما شوفت زيهم كانت حباتها أقسم بالله زي ماتكون معمولة من العضم!!

عدد حباتها 7 وطلبـت منذا نقول مع كل حباية كلمة ونكرر الكلمات لحد ما يأذن سيدنا بالدخول.

- الكلمات كانت..

اسمح - ادخلوا - بلا شرط - بلا قيد - مستباحة - راغبة - مهيئة.

فضلنا أنا وماما نعيد الكلام، كنت حاســة إن جسمي منمل وكل ما أكرر التنميل يزيد.. ضيف على ده كمان إن أنا وماما فضلنا نتّاوب وعندنا رغبة مُلحة في النوم.

دخلت علينا الســت وطلبت منّا الدخول للشيخ طيب، (ده كان إسمه).

مشيت ورا أمي حرفياً مستخبية فيها، دخلنا أوضة ما تفرقش كتير عن إللي كُنا فيها بيتوســطها مكتب عليه كمية كُتب كتير مستخبي وراها الشيخ....

قعدت أنا وأمي على الكرسيين إللي قدام المكتب وبدأ يستجوب أمي عن كل حاجة وأمي إنفجرت في العياط من كُتر حُزنها على بنتها البايرة وخصوصاً بعد جواز معظم بنات العيلة والجيران.

كل ده وأنا ســاكتة ونظراته ليّا كانت من تحت لتحت فيها إبتســامة غريبة لحد ما أمي خلّصت كلام، بص لي وقالي:

المعالج: وإنتي عاوزة إيه؟

بسنت: أنا عاوزة أمشي

المعالج: ما أكيد هتمشــي أنا بســألك إنتي عاوزة إيه وجاية ليه؟

بسنت: أكيد عاوزة العقدة تتحل

المعالج: هتتحل ما تقلقيش

بسنت: ياريت بجد

المعالج: الصبر بس وتنفذي كل إللي هطلبه منك

بسنت: حاضر

المعالج: شـــايفة الباب إللي على جنـــب ده؟ ادخلي هتلاقي على ترابيزة جوا علبة فيها كريم لونه أحمر، إقلعي هدومك وإدهني جسمك منه وحاولي تغطي أكبر جزء من جسمك بالكريم ده

بسنت: هنا؟

المعالج: لو كان ينفع عندك كُنت قولتلك خُديه معاكي، بس الأوضة إللي جوا متحصنة

بسنت: ماما؟!

ماما: هاجي معاكي يابســـنت، معلش ربنا يجعل في إيديه الشفا

المعالـــج: لأ يا حاجّـــة هي هتدخـــل لوحدها وإنتي هتفضلي معايا هنا

- دخلت يا أستاذ نادر وقفلت على نفسي الباب وقلعت هدومي وطلّعـــت الكريم وبدأت أدهن بـــه كل إللي إيدي تطوله من جســـمي كُنت بحاول أعمل كل ده بسرعة على قد ما أقدر.

لقيت أوكرة باب الأوضة بتتحرك زعقت، مين؟!

محدش رد!

بسنت: يا ماما إنتي برّا؟.... مفيش ردا!

زقّيت كُرسـي ورا الباب علشـان مايتفتحش، وخدت هدومي علشان ألبسها بسـرعة، لكن كانت الصدمة إني لقيت المعالج واقف ورايا في الأوضة.

بسنت: إنت بتعمل إيه هنا ودخلت إزاي؟

المعالج: المهم أنا دخلت ليه!

بسنت: هصوّت وهفضحك.. ياماما.. ياماما..

المعالج: سيبي لي نفسك تماماً وخلال أسبوع هيكون العريس في البيت.

بسنت: بقولك إبعد عنّي وإلاّ هموّتك حالاً!

جريت يا أسـتاذ نادر من غير مـا أكمّل لبس هدومي شدّيت الكرسـي وفتحت الباب وخرجت لقيت ماما قاعدة بتتكلم مع المعالج زي ما أنا سايباهم!

ماما جريت عليّا وغطتني بجسـمها والمعالج فِضل يتفحص كل حتة فيّا بعنيه الشيطانية!

كل إللي كان عليّا عمّالة أقول إزاي إنت كُنت جوا دلوقتي وبتحاول تـ...تـ....

ماما: سيدنا هنا يابنتي من وقت ما دخلتي

بسنت: كداب

المعالج: معلش واضح إن إللي عليكي عاوز يكرّهك فيّا (
بأي شكل

(في الوقت ده حسيت كلامه منطقي جداً)

المعالج: طبيعي إنه يعمل كده علشان يكرّهك فيا، بس
إحنا عندنا عقل نفكر به يابســـنت ... أنا تعمدت والدتك
تكون معايا شاهدة على أي حاجة هتحصل مني...

والدة بسنت: طب والعمل؟

المعالج: إتفضلوا روّحوا دلوقتي وأنا هكمل إللي بدأته
وأنا هنا.. من بعيد!

بس بشرط مفيش حُما ولا صلاة لمدة 3 أيام!

– خرجنا مشينا يا أستاذ نادر وأنا دماغي مش مستوعبة
حاجة من إللي حصلت ولما حكيت لماما فضلت تقول إني
بعمل كده علشان أمتنع إني أتعالج وأموّتها بحسرتها..

مكنش عندي حل غير السكوت..

سكوت بائس معــرفش له نهاية..

مكنتش أعرف هو يقصد إيـــه بحكاية إنه هيكمل من بعيد دي!

لحد ما روّحت وكُنت قاعدة على السُــفرة وماما حطت الأكل فجأة شوفت طبق الرُز مليان نمل بيجري جوا الرُز بشكل مُخيف وبدأ يخرج برا الطبق ويجي عليّا

نطيت من على الكُرســـي و وقفت أتنطط على الأرض زي المجنونة وماما في حالة ذهول، صرخت فيها علشان تلحقني لكن لقيت واقف وراها شيطان أسود وبيمد إيديه وبيلفها حوالين رقبة أمي، عينين أمي جحظت لبرا وبدأت تحشرج وكأن روحها بتتسحب منها!

فوقت علـــى صرخة بصوت أمي لقيتنـــي قاعدة على الكرسي والطبق زي ماهو وأمي سليمة ومفيش أي حاجة من إللي شـــوفتها حصلت قومت وجريت وسبت الصالة ودخلت أوضتي وقفلت عليّا الباب، وإترميت على السرير في حالة يُرثى لها! مش فاكرة نمت إمتى!

لكن إللي فاكراه كويس هو إحساســـي بالملاية وهي بتتشـــد من على هدومي وبعدها هدومي بتترفع من على جسمي...

وأنا زي المشـــلولة معنديش أي قُـــدرة على الحركة، وصوت بيهمس في الخلفية..

"بحق الكلمات الســـبعة كلمات القســـم تمكنا منك وأتينا"

وهناك عند باب الأوضة شـــوفت نفس الشئ إللي كان واقف ورا ماما بس المرة دي كان أوضح بكتير.

كان أشبه بجسم مشـــتعل عيونه بيضا براقة، بشرته لونها أحمر محترق، لـــه قرنين معقوفين للخلف، قفصه الصدري بارز من تحت الجلد، أصابع يديه طويلة بشكل يكون ضعف صوابعنا إحنا!

عاري بالكامل، النار المشـــتعلة عاملـــة حواليه هالة مُخيفة من النار و ودانه أشبه بمُثلثين مسحوبين لفوق.

إبتسم إبتسامة زادته رعب وبشاعة!

- كل ده وأنا مشـــلولة في مكاني..وهو بيتحرك ببطء شديد في إتجاه الســـرير، كل جوارحي رافضة الإستجابة ليّا!!

لا عارفة أتحرك ولا أصـــرخ ولا أعمل أي حاجة غير إني أغمض عنيّا وأفتحها علشان أفوق من الكابوس ده.

وقف قدام الســـرير ومد إيديه الإتنين ومسك رجليّا من تحت وضغط عليهم، حسيت بنار بتسري في جسمي كُلّه.

ومن بعيد سمعت صوت جرس تليفوني بيتسلل لوداني وكان كل ما يعلى كانت صورة المســخ بتتهز وتتلاشى بالتدريج.

فوقـــت تماماً من الحالة إللي كنت فيها وإللي مقدرش أقول أبداً إنها كانت كابوس، لأني متأكدة إني كُنت حاسة بكل حاجة حصلتلي.

إللي بيتصل كان مصمم جداً إنـــي أرد لكنّي ماكُنتش قادرة أرد عليه لقيته باعت رسالة صوتية شغلتها:

إزيك يابســنت، أنا الشـــيخ طيب، ردي على مكالمتي ضروري.

إتصل تاني فرديت عليه

الشيخ طيب: أنا كنت بتصل بيكي علشان أنقذك منه

بسنت: من مين؟

الشيخ طيب: «عاروس» ده إللي كان عندك

بسنت: أنا مش فاهمة حاجة، هو كده ده العلاج؟

الشيخ طيب: بقولك إيه أنا عاوزك تجيلي الليلة

بسنت: أجيلك ليه مش فاهمة؟

الشيخ طيب: علشان إنتي عجباني

بسنت: إنت راجل مش محترم

الشـــيخ طيب: لو مجتليش الليلة صورك كلها هتكون على النت!

بسنت: صور إيه؟!

الشـــيخ طيب: هو إنتي فاكرة وإنتي في الأوضة كنت ســـايبك! أنا صوّرتك، وإللي دخلّك جـــوّا ده كان قريني بيشـــوفك بالنيابة عنّي، فـ يلاّ زي الشاطرة إنزلي تعالي وهترجعي البيت قبل ما أمك تصحى

بسنت: أنا هبلغ فيك الشرطة

الشيخ طيب: معنديش مشكلة هدخل السجن وهسيبلك «عاروس» وإنتي شوفتي بنفسك شكله، وإللي كنت هعمله أنا جنب إللي هو هيعمله لعب عيال.

بسنت(مُنهارة): أبوس إيدك إرحمني.

الشيخ طيب: أبوس إيدك أنا إرحميني

بسنت: أنا هقول لماما

الشيخ طيب(ضاحكاً): ماما؟! طيب ماما مقالتلكيش إنها عارفة إن أنا ليّا طلبات وهي وافقت عليها علشان تتجوزي

بسنت: لأ لا إخرس مش ممكن

الشيخ طيب: معاكي أسبوع ياتيجي وقت ما أطلبك يا إما «عاروس» هو إللي هيزورك بنفسه وقت ما يحب... وإبقي خلّي ماما تحميكي منّه!

- قفلت معاه التليفون لقيته باعتلي صور عريانة ليّا وانا عنده فضلت أصوّت وألطم، جريت على الحمام قفلت عليّا الباب وقعدت على الأرض مُنهارة من المصيبة إللي أنا فيها.

الكهرباء إتقطعت ومع قطعها حسيت بإيد بتطبطب على كتفي جيت أقوم الإيد زقتني قعدتني في الأرض.

وسمعت صوت ستارة البانيو بيتفتح ببطء مخيف ومن وراها كان في ضوء أحمر عبارة عن نقطتين، لما الستارة إتفتحت شوفت النقطتين دول...

كانوا عبارة عن عينين طفل قاعـــد في البانيو عريان وعينية مضيئة باللون الأحمر المخيف!

وبصوت أجشّ مخيف الطفل نطق وقالي: ماما !!

ومســـك في سور البانيو وبدأ يتسلقه ووقع على أرض الحمام خارج البانيو وبدأ يزحف ناحيتي وهو بيكرر كلمة ماما دي بصوت جاي من أعماق الجحيم.

مكنش عندي مكان أهرب له أنا ضهري للحيطة وقاعدة في الأرض وبحاول أسحب رجليّا وأضمها ليّا، وده بيقرب أكتر وأكتر لحد ما وصل لي وتسلق جسمي وبقى وشه في وشي وحاضنّي وشلّ حركتي...

عينية البشـــعة في عيوني ومكتفنـــي تماماً ويعلو الصوت صرخ وقالي: ماما...

صوته كان عامل زيّ مايكون إنفجار مدوّي ضرب في وشي

وداني صفرت، عينيا مكنتش شايفة بيهم أي حاجة وحسيت بجسمي بيترفع من على الأرض وإتفتح باب الحمام وأنا متشالة لحد ما وصلت لباب أوضتي دخلت وإتحطيت على السرير ولقيت تليفوني بيشغل رسالة صوتية من تلقاء نفسه:

ده تذكير بسيط علشان تعرفي تقرري كويس قبل نهاية المُهلة.

نادر(مقاطعا): فاضل قد إيه من المُهلة؟

بسنت: يومين، أنا من وقت ماظهر الطفل ده ماشوفتش النوم، أنا بقيت بخاف أنام، أرجوك يا أستاذ نادر ساعدني.

نادر: ماتقلقيش يا بسنت، إللي بتحكيه ده بيقول إن «طيب» ده مسخرلك جن مخصوص يرعبك علشان تنفذي له طلبه وأنا أوعدك الموضوع ده كله هيخلص في أسرع وقت.

- رن تليفون نادر بإسم "غُلا عُمق الحدث" و دي كانت المرة الثامنة والســـاعة كانت 8 ونـــص يعني نادر ضرب المعاد وتجاهل غُلا ووالدتها من جديد!

بسنت: هتقدر بجد يا أستاذ نادر تساعدني؟

نادر: أيوة

بسنت: هي ماما فعلاً لها يد؟

نادر: من وقت ما إدت لطيـــب اللفة وهي متواطئة ولو بدون قصدا!

بسنت: اللفة دي كان فيها إيه؟

نادر: دوّري في لبسك وشوفي إيه ناقص؟

بسنت: ياذهار اسود أنا مش هقدر أقول إيه

نادر: أنا مش محتاج أسمع لأني عارف

بسنت: ليه كده يا أمي!!

نادر: حسابك معاها بعد ما أقفلّك باب «طيب» ده تماماً إلا لو عاوزاني يكون ليّا تصرف معاها وأعرّفها غلطها!

بسنت: إللي تشوفه يا أستاذ نادر

نادر: روّحي يابســـنت إنتي دلوقتي وما تقلقيش من حاجة!

- مشيّت بسنت وسابتني مع سيل من رسايل التهزيق من "عُلا" وبصراحـــة أنا مش فارق معايا، هتصدقوني لو قولتلكم إني مبسوط إني فرقعتها هي وأمها مرة كمان!

أنا كل إللي هاممني إني أســـاعد «بســـنت» وأحلّ لها المشـــكلة بتاعتها بس مع شـــوية تحديثات طرأت على شخصية نادر فودة!

روّحت البيت طلّعت دفتر يومياتي وكتبت الآتي:

1 - لطفي شكله هيودع

2 - أمنية فاتحة لي مذدبة

3 - قضية جديدة تحت عنوان بسنت

4 - معالج متحرش عينيه من الضحية

5 - مسخر جن علشان يتمكن من تنفيذ نزواته

6 - أم بسنت ست جاهلة حالها من حال آلاف الأمهات عندنا

7 – بسنت حرفياً ضايعة وموقفها سيئ للغاية ومُستعدة تعمل أي حاجة للنجاة من المصيبة

8 – العلاج في جُملة واحدة : لا يفل الحديد إلا الحديد

9 – الحل في كتاب مدبولي

10 – أنا لست صحفي...أنا طوق النجاة.

الفصل الثالث

(طوق نجاة)

تاني يوم الصبح كنت فـــي مكتبي ومدبولي واقف قدامي وبقوله: المهلـــة إتغيرت، الكتاب لازم يجيلـــي النهاردة وإلا هتترفدا!

مدبولي: تحت أمرك يا أستاذ نادر

نادر: بعدين أنا عاوز أقولك حاجة يامدبولي

مدبولي: إتفضل

نادر: أنا هعالج به وهحل به حاجات وأزمات كتير

مدبولي: كلنا قولنا كدة في الأول

نادر: خلاص إنت برّأ ذمتك وسلّم وإستلم يا معلم

مدبولي: أستلم إيه؟

نادر: ألف جنية..قدامك ساعة تروح تجيبه وترجع.

مشي مدبولي وهو خلاص ماعندوش إختيارات تانية!

وأنا طلّعت جواب بسـنت قريته تاني علشـــان أجمّع الخيوط كلها!

- فات ساعة وإتنين وخمسة ومدبولي مجاش!

إتصلت عليه كتير مــا ردّش! واضح إنه إختار يضحي بوظيفته ومايضحيش بالكتاب علشـــان متمسك بتوبة

مؤقتة مزيفة هجمت عليه بسبب موت إبنه ودومين ويرجع أسوء من الأول!!

- باب المكتب إتفتح بعنف ولقيت عُلا داخلة وعينيها بتطق شرار.

عُلا: أنا غلطانة إني فعلاً هزقت نفسي تاني معاك

نادر: إهدي يا عُلا لايطق لك عرق ولا حاجة

عُلا: ولا يطق ولا حاجة، إنت إنسان مريض وأنا غلطانة إني من أول مرة مخدتش موقف.

نادر: مريض بيكي يا لولو

عُلا: من فضلك إتكلم معايا بأسلوب أحسن من كده

نادر: ماخلاص ياعُلا قولي لماما الزبون اللُقطة هيجي تاني وهنديسه! سيبيني بس أجمّع حاجتي علشان عايز أروّح

- خرجت عُلا ورزعت الباب وراها وهي مُنهارة ومصدومة من ردودي عليها !

في الوقت نفسه كنت لميت حاجتي ونزلت من الجورنال وإشتريت أكل علشان أروّح وأفكر بهدوء في حل لموضوع بسنت ده...

وأنا طالع على السلم لقيت عم مدبولي قاعد على العتبة إللي قدام باب الشقة وإللي مجرد ما شافني قام وقف.

مدبولي: أنا أســـف يابني إني إتأخرت بس غصب عني أنا طول اليوم بفكر إللـــي هعمله ده صح ولا غلط، أنا ما صدقت إني توبت عن الطريق ده وريحت إبني في رقدته، إزاي بعد كل ده أديك الكتاب إللي أذيت به ناس كتير بإيدي.

نادر: عم مدبولي ماتزهقنيش، إنت جاي ليه؟

- أخرج عم مدبولي من جيبه كتاب ملفوف وإداه لنادر

نادر(مُبتسما): أيوه كده، تعالى بقى أدخل علشان أديك الفلوس، إنت نفذت الجزء بتاعك من الإتفاق وأنا هنفذ بقى الجزء بتاعي.

مدبولي(مُقاطعـــا): الأهم من ده إنك تعرف تســـتخدم الكتاب

نادر: هو له كتالوج ولا إيه؟

مدبولي: تقدر تقول حاجة زي كده

نادر: طب تعالى أدخُل

- دخل نادر ومدبولي وأصر نادر إن مدبولي يتعشـــى معاه

مدبولي: الكتاب ده غير كل كتب السحر في ناس قالت إنه إيراني وناس قالت إنه سوداني وناس قالت إنه من كتب سحرة فرعون وناس قالت إنه من كتب جن سيدنا سليمان، الحقيقة محـــدش يعرفها لكن الحقيقة إللي أنا أأكدهالك إن الكتاب ده أخطر كتاب سحر مرّ عليّا أو على أي ساحر مش مطلوب منك تقرأ الطلاسم قد ما مطلوب منك تكون عارف إنت فاتح الكتاب في اللحظة دي علشان عاوز إيه

نادر: مش فاهم

مدبولي: كل الطلاســـم إللي في الكتاب بتأدي الغرض المطلوب بس بشرط تكون عارف إنت عاوز إيه

نادر: تقصد إن أنا كل ما أعوز حاجة أفتح الكتاب وأقرأ أي طلسم وهينفذ إللي أنا عاوزه؟

مدبولـــي: تقريباً، فكّر في إللي إنـــت محتاجه وإفتح الكتاب وسيبه يختار الصفحة والباقي هو هيعمله.

نادر: بالبساطة دي؟

مدبولي: إسمها بالخسارة دي، إنت هتخسر كتير أوي مع أول مرة هتفتح فيها الكتاب

نادر: مش أكتر من إللي خسرته

مدبولي: عندي سؤال قبل ما أمشي هموت وأسأله

نادر: إيه هو؟

مدبولي: إنت مين؟

نادر: أنا مين إزاي؟

مدبولي: إنت مش نادر إللي إشتغلت معاه طول الفترة إللي فاتت، ياراجل ده إنت حاربتني ولا كأني كُنت شيطان رجيم!

نادر: كُنت غبي

مدبولي: لا إسمحلي أقولك إنك دلوقتي إللي بقيت غبي ده إذا كُنت نادر أصلاً!

– خرج مدبولي وســــاب لي الكتـــــاب ومعاه مزيج من مشــــاعر متداخلة ومتضاربة هو أنا صح وكان لازم أفوق لنفسي بقى وأشــــوف مصلحتي فين ولا أنا بمر بمرحلة سوداء هتقضي عليا وعلى أي حد حواليّا.

أنا مش هضيّع وقتي في أســـئلة غبيـــة وأنا بين إيديا كنز وجه الوقت إللي لازم أفتحـــه، أخدت الكتاب ودخلت أوضة نومي وقللت الإضاءة تماماً وفتحت الكتاب على أول صفحة إللي كان فيها مقدمة تســـمحولي أكتبهالكوا زي ماهي مكتوبة بالضبط علشان تحسوا بإللي أنا حسيته.

(مُقدمة الكتاب).

- قبل أن تتخطى هذه المقدمة وجب التحذير!

- إن هذا الكتاب لا يحمل في طياته سوى الحزن والألم والمتعة الزائلة.

- ولتعلم أيها القارئ أن وجود هذا الكتاب بين يديك هو إختبار حقيقي لك.

- ولتسمح لي أن أساعدك في إجتياز هذا الإختبار.

- من فضلك إحرق هذا الكتاب ولا تدعه يقع في يد أي شخص.

- هذا الكتاب لن يجلب لك سوى الهلاك!

برغم كل التحذيرات إلا إني كملت وفتحت أول صفحة:

1 - إذاً فقد إخترت.

2 - قُسم بجرح إصبعك إذا كنت مُســـتخدم جديد لهذا الكتاب وأســـكب دمك على عنوان الكتاب الخارجي حتى يغمره بالكامل.

3 - ثم إتلوا تلك الجُمل بالترتيب الآتي:

- أقسم بسُلطة هذا الكتاب الأبدية.

- أن أنصاع إنصياعاً تاماً.

- مُتحملاً كافة أحكامه، مُنفذاً كافة أوامره.

- مُضحياً بكل أضاحيه، ولا مجال للتراجع أو التردد.

- وفي مقابل ذلك أحصل على كل ما أبتغي.

- مُنقطعاً عن أي علاقة ربانية أو روحانية.

- وإذا فكرت يوماً ما أن أتراجع أو أن أستغفر أو أن أتوب فإن إنتقام الكتاب لن يُبقي ولـــن يذر أي أحد من أقاربي وأصدقائي وأحبائي إلا وقضى عليه.

نفذت كل المطلوب وشـــعرت برغبـــة مُلحة في النوم فاستسلمت ونمت وأنا عارف إن نومي هو إستكمال لعهد الشيطان والكتاب.

مقدرش أقول ده كابوس ولا حلم ولا رؤيا ولا مزيج من كل دول.

شــــوفتني واقف على ضفة النيل بالليل بحاول أشوف حاجة مش عارف هي إيه كأني كنت بدوّر على شـــئ تايه مني كل إللي شايفه ميّة ســــوداء وصخور كبيرة وغربان واقفة علــــى الصخور دي بتنعق بصـــوت حزين منتظم وكأنها في حالة حداد جماعي ومن ورا الصخور ومن وسط الميّة الراكدة ظهر كيان ضخم كان بيتحرك في الميّة من غير الميّة ما تهتز زاد صوت الغربان وكأنها بتحذرني.

حاولت أرجع بضهري فإكتشـــفت إن الميّة مغطياني لحد رقبتي، ورجليّا مغروسين في الطين، حالة شلل تام وهو بيقرب أكتر لحد ما وصـــل لي، وحرفياً أنا كنت عند نص جسمه وبحركة مُباغتة منه خبط بإيده الميّة جنبي فتسبب في حدوث موجة عالية جداً غمرتني الميّة وفضلت أستنى الموجة دي تنحسر علشان أعرف آخد نفسي لكنها للأســـف فضلت مغطياني وسمعت صوت جاي من أعماق النيل بيقول:

قُبل العهد..قُبل العهد..قُبل العهد.

صحيت لقيتني غرقان والســـرير كمان كأننا كُنا فعلاً في قاع النيل.

قومـــت جريت على المراية أتطمن على نفســـي لقيت جسمي كله أزرق بما فيه وشـــي، بالضبط زي إللي مات غريق!

فضلت صاحي للصبح كل شـــوية أبـــص في المراية وألاقي وشي بيرجع لشكله تدريجياً.

على الساعة ٦ الصبح كُنت بفتح الكتاب وأنا في ذيتي البحث عن حل لمشكلة بسنت.

قرّيت صفحة والتانية جيت عنـــد التالتة كنت كل أما أجي أقلبها صباعي يتشـــك وكأن حاجة بتمنعني تماماً من إني أقلـــب الصفحة ففهمت إن الحل في الصفحة دي، وإللي كان مكتوب فيها طلســـم مُعقد جداً وبعده مكتوب (ثم يذكر حاجته).

قريت الطلسم وبعده قولت هلاك المدعو الشيخ طيب وإبعاده تماماً عن بسنت، الكتاب إتقفل لوحده ومفيش 10 دقايق لقيت بسنت بتكلمني

نادر: صباح الخير يابسنت

بســــنت: ده خير كبير، حصل حاجـــة أنا مش فهماها لغاية دلوقتي

نادر: حاجة إيه؟

بسنت: الشيخ طيب إتصل بيترجاني أسامحه وبيقولي أنا تحت أمرك في أي تعويض عن الخطأ إللي إرتكبته بس أرجوكي قوليلي مين معاكي

نادر: ماقالكيش حصله إيه؟

بســـنت: حاولت اعرف منه لكن رفض، بس إللي أقدر أقولهولك إن إللي حصله شــــئ أعظم بكتير من إللي هو بيعمله في الناس.

نادر: بس أنا لازم أعرف حصله إيه، أنا ما ياكلش معايا جو إن الحاجة تحصل من برا برا ده من غير ما أكون عارف تفاصيل، أمال هكتب إيه؟ أكتب إنه ندم وتاب ياحليلة!

بسنت: مش عارفة بقى

نادر: تمام يابسنت

بسنت: بس في حاجة، ماما مختفية بقالها كذا ساعة وبتصل بيها موبايلها مقفول

نادر: أنا مش شغلي يابســـنت إني أدورلك على الست الحاجّة.

بســـنت: أيوة فاهمة بس كنت بســـأل لـــو إنت تقدر تساعدني

نادر: إبقي طمنيني لما ترجع

يومها بالليل بسنت إتصلت بيّا بتبلغني إن أمها رجعت البيت فاقـــدة النطق وبتترجاني أتصرف، أتصرف إزاي إذا كنت أنا الســـبب في إللي حصل لأمها، هتســـألوني إزاي هقولكم إفتكروا كلامي مع بسنت عن إن أمها لها دور في إللي بنتها مرت به وإني أتدخل بشـــكل أو بآخر ده غير إن المدعي إللي إســـمه طيب هو كمان قالها إن الست أمها وافقتـــه إنه يعمل أي حاجة في مقابـــل إن بنتها تتجوز طبعاً أنا عارف إنها مكانتش تقصد إللي هو فكر فيه بس الحقيقة أنا بطلت أتعامل مع الناس بنواياها.

قبل ما أقفل قصة بسنت دي كلها خليني أقولكوا إنها كلمتني مكالمة تانية وحرفياً كانت بتصرخ في التليفون وبتدعي عليّا لأني على حد زعمهـــا خُنت الأمانة ونزّلت القصة في الجورنال بإسم بسنت الثلاثي!

وعنوانها وإسم أمها، من الأخر فضحتهم، وده بيرجعني لنفس السؤال.

هو أنا كدة صح وعرفت قيمة نفسي ولا أنا بهد كل إللي بنيته في سنين؟!

الشـــاهد، إن الكتاب العظيم إللي معايا دلوقتي عملت به البدع، أي حاجة تخطر على بالكوا عملتها به بس كلها حاجات في عُرف نادر القديم غلـــط وحرام، أما في عُرف نادر الجديد فهي عين العقل.

إسمحولي أسيبكم علشان أجهز شنطتي إللي هسافر بيها البلد بســـبب مكالمة من أمي بتطلب مني فيها إني أجي على وجه السرعة دون إبداء أي أسباب.

هسافر البلد وهما ورزقهم معايا بقى، سلام مؤقت.



الفصل الرابع

(لا يفل الحديد إلا الحديد)

يادوب قفلت شنطتي وبفتح باب الشقة لقيت واحد واقف في وشي إحنا الإتنين إتخضينا.

الشخص: إنت بقى نادر فودة؟

نادر: أيوة، مين حضرتك؟

الشـــــخص: إنت إللي خربت بيتي؟ وضيعتني وقضيت عليّا؟

نادر: جرى إيه يـــا راجل يا مخبول إنت هتنطق وتقول إنت مين ولا أقفل الباب في وشك

الشخص: أنا طيب يا نادر أفندي

نادر(مُبتســـما): أهلاً أهلاً تصدق إن أنا كان نفســـي أتعرف عليك

طيب: مش أكتر مني

نادر: إيه سبب الزيارة الكريمة دي؟

طيب: مش ندخل نتكلم جوا أحسن؟

نادر: إتفضل

طيب: أنا جاي أسألك سؤال واحد بس، إللي معاك دول سخرتهم إزاي؟ أنا معايا واحد وحاسس إني ملكت الدنيا بإللي فيها

نادر: ما تحكيلي إللي حصلك وأنا هقولك إللي إنت عايزه

طيب: أنا كأني لا شوفت سحر ولا إتعلمت تسخير أنا كنت ليلتها عامل زي العيل الصغير إللي كل غيلان الدنيا إتكاترت عليه

نادر: بقولك إحكي أنا مش عاوز عناوين.

طيب: ليلتها أنا كنت لسه مخلص جلسة علاج لواحدة من الزباين، دخلت خدت دُش وكلت لُقمة وروحت سريري علشان أنام أول ما طلعت على سريري سمعت صوت واحدة بتصوت خرجت من الأوضة أجري مالقيتش حاجة مابقيتش عارف الصوت ده جاي من برا ولا من جوا لحد ماسمعت صوت واحدة ست بتنادي عليّا من جوا أوضتي، دخلت الأوضة لقيتها فاضية مافيهاش حد ناديت على الجن إللي أنا مسخره «عاروس» وطلبت منه يشوف إيه

الحكاية، غاب ومرجعش ب رد، سمعت صوت الست بينادي عليّا مرة تانية، الصوت كان طالع من دولاب هدومي.

لأول مرة في حياتي أقلق، مشيت ناحية الدولاب بحذر بقدّم رجل وبأخر رجل، فتحت الدولاب بالراحة شوفت أخر حاجة كنت ممكن أتوقعها، شـــوفت الجن إللي أنا مسخره «عاروس» متسلســـل ومتكتف ومرمي في الدولاب وبوقه داخل فيه ســـلك مخيطه في بعضه وبيبصلي بصة خوف وذعر كانت أول مرة أشوفه خايف ومرعوب بالشكل ده، كل إللي جه في دماغي وقتها لما ده الجن إللي أنا بستعين به وحصله كده أمال أنا هيحصلي إيه؟!!!!

كل إللـــي كان في دماغي إني عاوز أعرف إيه الســـبب في إللـــي بيحصل ده، لاحظت إن عينين الجن المســـخر بتاعي «عاروس» بتبص ورايا بمنتهى الرعب، مالحقتش أتلفت أشـــوف إيه ورايا لأن لقيتني بترفع من على الأرض وبتسحب لفوق وإخترقت السقف كأني هوا، فضلت أطلع لفوق لإرتفاع مش قادر أوصفه كل إللي كان على لساني...

أنا عملت إيه؟

أنا عملت إيه؟

أنا عملت إيه؟

العفو والسماح العفو والسماح.

سمعت صوت من ورايا من الشئ إللي رفعني قالي كلمتين إتنين: (أترك بسنت).

مالحقتش حتى أقول حاضر لأنه سابني ومن أعلى إرتفاع كنت فيه لقيتني بقع ناحية الأرض بمنتهى السرعة كنت شايف في الأرض مشهد بيحصل بسرعة رهيبة، حفرة بتتكون وكأنها مُعدّة لإستقبالي، إترزعت في الحفرة ما إتوجعتش الحقيقة لكن الرعب كان تملك مني لما لقيت كل تراب الحفرة بيهدل عليّا، جسمي كله مشلول مش قادر حتى أحُوش بإيديا التراب إللي بدأ يغطيني، وعند طرف الحفرة شوفت رجلين حاولت أجيب بنظري باقي جسم إللي واقف ماعرفتش كل إللي شوفته رجلين، الرجل الواحدة قد رجلينا يجي عشرين مرة، الجلد شبه الصدف إللي بيبقى على السلاحف عمري ما أقدر أقول على الضوافر إنها ضوافر أو حتى حوافر دول شئ ملهوش وصف.

صرخت وقولت أنا مليش دعـــوة بيها ولا هقرب منها السماح والعفو، لكنّي كنت بكلم نفسي فضل تراب الحفرة يهدل عليّا والشئ إللي واقف مابيتحركش، كانت دي أخر لحظات ليّا قادر أتنفس فيها، بعدها الدنيا ضلمت وعرفت إن ده الموت لا محالة!

نادر: ما إنت عايش أهو وزي الفل وقاعد بتتكلم

طيب: إللي حصل إني فوقت فجأة لقيت الجن المسخر بتاعي «عاروس» هو إللي حفر وخرجني بعد ما إتفك أسره وطلب مني أبعد عن بســـنت وإني لو عاوز أعملها حاجة مايكونش من خلاله.

نادر: وبســـنت بقى إللي قالتلك إن أنا إللي ورا الفيلم الهندي إللي إنت بتحكيه ده؟

طيب: ماتجيبش ســـيرتها، لا حكتلي ولا عايز أســـمع عنها حاجة، الجن المسخر بتاعي «عاروس» هو إللي قالي وعلشان كده أنا جاي أســـألك إنت مين، وأترجاك تشيلني من دماغك وأنا مش هقرب منها تاني طالما هي تخصك

نادر: هسيبك بشرط واحد

طيب: إيه هو؟

نـــادر: تحكي لكل حد تقابله عـــن قوتي وإللي جرالك بسببي

طيب: من غير ماتطلب، أنا بالفعل حكيت ولسه هحكي كتير

نادر: إتوكل إنت علشـــان ورايا مشـــاوير ولو عوزتك همرف أجيبك

الفصل الخامس

(لقـــاء عابـــر)

بعد ما مشـــي طيب إحساسي بالقوة والإنتصار تضاعف، حسيت إني عايز أكتر أنا مش مكتفي بالمستوى إللي وصلتله من السيطرة، أنا والكتاب ده هنقدر نعمل كتير.

إنطلقت في طريقي لمسقط رأسي، مجرد ما دخلت البلد إنتابني شعور عمري ما حسيت به قبل كدة وأنا هنا..أنا مبقاش ينفع أنزل البلد تاني مش دول إللي يعرفوا قيمتي ولا يقدروا إسمي ولا مكانتي.

وصلت البيت وبعد السلامات الحارة المبالغ فيها بيني وبين أمي وأختي، قولت لأمي:

بقولك إيه يا ماما أنا قررت حاجة

والدة نادر: خير يابني

نادر: أنا هاخدك إنتي وأمنية تقعدوا في القاهرة معايا

والدة نادر: ليه يابني هو كان حد إشتكالك

نادر: أصل أنا مش هقدر أنزل البلد دي تاني

والدة نادر: ومالها البلد دي؟

نادر: مابقتش تنفع مع إسمي والنجاح إللي وصلتله

والدة نادر: آه، يبقى كلام أختك أمنية صح

نادر(لأمنية): قولتيلها إيه ياهانم؟

أمنيـــة: قولتلها إن إنت بقيت بنـــي أدم غريب وأديني شوفت وإتأكدت بنفسي

نادر: الحق عليّا إني عايز أنضفكم

والدة نادر: كتر ألف خيرك يابني أخرتها تنضفنا!

نادر: بلاش أنضفكم هطلعكوا مـــن الجحر إللي إنتوا عايشين فيه ده

أمنية: أولاً محدش طلب منك ده.

ثانيـــاً وإن كان على الزيارة إللي هتقرفنا بســـببها ماتكررهاش

نادر: خلاص خليكي قاعدة هنا لحد ماتعنسي

والدة نادر(مُنفعلة): إنـــت بتكلم أختك كدة إزاي؟ إنت مش ممكن تكون نادر إبني

نـــادر: يووووه أنا كل ما أتكلم مـــع حد يقولي إنت مش نادر خلاص شوفولكم إسم جديد بقى تنادوني به

أمنية: يلاّ يا ماما ندخل نشـــوف هنعمل لنادر بيه إيه علشان الغدا وبالمناسبة إبقى إتعطف وروح زور الشيخ لطفي ده لو مكانش يقلل من شأن حضرتك.

دخلت ماما وأمنية المطبخ وسابوني لنفس السؤال من جديد هو أنا كدة أحسن ولا أسوء؟

غيّرت هدومي وطلعت على بيت الشــــيخ لطفي قابلني فـــي الطريق عم مختـــار حاولت أكـــون ودود معاه قدر المُستطاع لحد ما جه عند جُملته المعتادة (إنت بتفكرني بشبابي يا واد يا نادر).

نادر: أولاً أنا مابقيتش واد أنـــا الناس كلها بتقولي يا أستاذ نادر

ثانياً: بتفكرني بشـــبابي بتفكرني بشـــبابي هو إنت فاكرني مش عارف إنت كُنت بتهبب إيه في شبابك!

الحاج مختار(مذهولاً): هو في إيه؟

نادر: في إنك كنت واحد فاشـــل عايش على فلوس أبوك وفاكرين نفســـكوا أعلى من باقي الناس، وكل المغامرات إللي إنت قارفني بيها كانت عبارة عن جري ورا الحريم في العزبة، صح ولا فاكرني مش عارف!

الحاج مختار: خلاص يابني أسكت، أنا كنت بفتخر بيك ولازلت بس واضح إن ده بقى بيضايقك، إنت مش نادر إللي أنا أعرفه

نادر: أه هو بالضبط أنا مش نادر إللي إنت تعرفه إعرف بقـــى نادر الجديد وإتعود عليه ويلاّ بقى ندخل نشـــوف الراجل العيّان قبل مايفطس.

الحاج مختار: لا حول ولا قوة إلا بالله، حاضر يابني.

دخلنا عند الشـــيخ لطفي، ده الوحيد إللي مش هقدر أتجاهل حبي له وفضله عليّا مهما أنكرت.

شديت كرســـي وقعدت جنب السرير وكنت عاوز أقوله أي حاجة أهوّن بيها عليه التعب لقيتني بقوله:

إيه ياشيخ لطفي إنت مش عارف تشفي نفسك ولا إيه؟

الشيخ لطفي(بصوت ضعيف): إزيك يا نادر يابني، هو في حد بيشفي نفسه الشافي هو ربنا

نادر: أمـــال اللّف إللي لففتهولي معـــاك ده كان إيه؟ طالما ربنا هو إللي بيشفي، كل واحد بقى يقعد في بيته ويستنى دوره.

ميّل عليّا عم مختار وقالي: الشيخ لطفي مش هيستحمل طريقتك دي ياتقول كلمة كويسة ياتقوم تمشي

نادر: لأ همشي بس عايز أقولك حاجة ياشيخ لطفي قبل ما أمشـــي زي ما إنت طلبت تشوفني أنا كمان كنت عايز أشوفك علشان أقولك إن معايا سلاح أقوى مليون مرة من التخريف إللي إنت علمتهولي

الحاج مختار: التخريف ده هو إللي خلاك الأستاذ نادر فودة بتاع دلوقتي إللي مش طايق يسمع صوت حد منّا،

التخريف ده ساعدك في كل التحقيقات إللي كتبتها،

التخريف ده هو إللي نجدك من مصايب ياما،

التخريف ده هو إللي خلاك تقدر على الوقاد وإبنه.

نادر(مُتهكمـــاً): إيه الوقاد ده كمـــان؟ وإبنه ده يطلع مين؟ ولاد خالتك؟!

الحاج مختار: إنت هتعمل عبيط! الوقاد وكســـاب إيه نسيتهم؟

نادر: أنا فعلاً معرفش ناس بالأسامي دي، ولا يشرفني أعرف.

الحاج مختار وقف وزعق : أقسم بالله إنت مش نادر وأنا مسئول عن كل حرف بقوله

الشيخ لطفي(بهدوء): قرّب يانادر يابني عايز أقولك حاجة، فتّح عينيك على الأخر كدة عايز أبص فيها

نادر: اللهم طوّلك ياروح، حاضر

الشيخ لطفي بعد ما بص في عنين نادر: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

-روّحت البيت لقيت أمي وأختي ناصبين القاعدة وجايبين خالتي صفية ومروة بنت خالتي وقاعدين يقطعوا في فروتي، خالتي صفية لما شافتني قامت سلمت عليّا هي ومروة، ما إديتهمش فرصة يفتحوا أي كلام ودخلت الأوضة وقفلت على نفسي وسامع صوت أمي من برة بتقول: شايفة ياصفية؟ شايفة خيبتي التقيلة في إبني، أنا لو كنت أعرف إن شغل الصحافة هيقلبه علينا بالشكل ده مكنتش سمحتله يسيب البلد أبداً، ده راح يزور الراجل العيّان جاب للراجل مرض زيادة عن إللي عنده.

- رغي رغي رغي مش قادر أتحمله، لميت هدومي من بعد ما كنت طلعتها علشان أقعد يومين وحطيتهم في

الشنطة وفتحت باب الأوضة وخرجت من غير ما أسلّم على أي حد.

أمنية جريت ورايا..

أمنية: إنت رايح فين؟

نادر: همشي وأسيبلكم المخروبة علشان تتكلموا عليّا براحتكوا

أمنية: ممكن تقولي مالك؟

نادر: مفيش حاجة إبقي سلّمي على ماما

وسافرت ورجعت شقتي إللي بحس وأنا فيها بالسكينة والهدوء وأنا مقرر إني مش هنـــزل البلد دي تاني وإللي عاوزني عارف عنواني.

صحيت على تليفون من عُلا وكلمتني بمنتهى الجديّة وقالتلي: زميلنا «عمر القصاص» في قســـــم الحوادث عمل حادثة ومات والجورنال كله رايحين المشـــرحة لو تحب تكون موجود.

لبست هدومي ونزلت على عنوان المستشفى وروحت من الباب الخلفي عند تلاجة الموتى لقيت معظم زمايلي

موجوديـــن والكل في حالة حزن كبيـــر وعرفت إن ٢ من زمايلنا دخلوا يشاركوا في الغُسل مع أخوه، دخلت بسرعة ومجرد ماشوفت وشــــه قلبي إتقبض وكأن أنا كُنت ناسي الموت!

شاركتهم الغُسل وطول ما أنا بغسّل في صوت ملعون بيتردد في ودني وأنا بحاول أتجاهله بكل طريقة ممكنة...

الصوت كان بيقول جملة واحدة: (ليالي الأرواح الضالة)، مش فاهم معناها ولا الهدف منها!

خلصنا غُســـل «عمر» وكفنّاه وحطينـــاه في الصندق الخشـــب ونقلناه لســـيارة نقل الموتى ومنها إلى مثواه الأخير..

ولحد ما أنا واقف قدام التربة الصوت لســــه بيتردد في ودني بشكل مســـــتمر (ليالي الأرواح الضالة)...لدرجة إني زعقت وقولت: خلاص سمعت، والكل إتخض منّي!

ســـبقت الكل وروّحت وما روحتش الجورنال...أول ما دخلت البيت شـــغلت جهاز الكمبيوتر وبدأت أعمل بحث عن (ليالي الأرواح الضالة): موقع مطلعها إنها فيلم، موقع تاني مطلعها إســـم كتاب، موقع تالت كاتب جملة واحدة:

ليالي الأرواح الضالة هي ليالـــي الغذاء الروحاني! ومش كاتب أكتر من كدة!

على طول جه في بالي الكتاب معرفش هيساعدني إزاي بس أكيد هيدلني، فتحت الكتاب وفضلت أدور فيه لحد ما لقيت جزء مكتوب فيه «البحث عن المعاني» لقيته شارح معاني طلاسم وتعاويذ وخطورتها بشكل مُفصل وإن لو حابب أخوض معنى أي طلسم في خطوات بتتعمل...

بس ده مش طلسم الموضوع ده الكتاب مش هيقدملي الحل فيه.

يبقـــى معنديـــش غيره...«طيب» هو إللـــي هيتمنى يساعدني ويدلني، جبت رقمه من بسنت وإتصلت به وفرح جداً إني طلبت أقابله وخلال ساعتين كان عندي في البيت.

نادر: طيب أنا عاوزك في خدمة

طيب: وأنا تحت أمرك

نادر: هو مش أنا تحديداً، كائنات الظلام إللي إنت شوفت رجلين واحد منهم

طيب: يا باشا مش مهم إنت ولا همّ... أنا موافق

نادر: يعني إيه ليالي الأرواح الضالة؟

طيب وشه إتخطف وقال: و دي عاوز منها إيه؟

نادر: هي إيه أصلاً؟

طيب: اليومين دول

نادر: ما تنقطنيش بالكلام، هي إيه دي؟

طيب: ليالـــي الأرواح الضالة دي ما يدلكش عليها غير حد عاوز يقضي عليك

نادر: بمعنى؟

طيب: ده طقس خاص جداً من السحر، كان بيُمارس قبل سيدنا سليمان وإتدفن مع الكتب إللي إتدفنت، الطقس ده زمان كان الجن نفســـهم بيخافوا يمارسوه والوحيد إللي مارسه هو إبليس!

نادر: نعم!!

طيب: أيوة إبليس علشـــان كدة بقولك إللي دلك عليه عاوز نهايتك، الجـــن كان بيرفض بســـببه أوامر إبليس المباشرة، ويفضلوا إنه يخلص عليهم بدل ما الطقس ده إللي يخلص عليهم، ممكـــن تقولي عرفته منين؟ أصل لو

إنت مسخر كل عشاير الجن هيخافوا يدلوك عليه لأن الأذى هيطولكم جميعاً.

نادر: للدرجادي ؟!

طيب: وأكتر، أنا وأي كاهن أو ساحر بذيجي عند الطقس ده بالذات ونتجنب الحديث عنه، ومش هتلاقي حد يكلمك إلا لو كان بينه وبين إبليس نفسه عهد!

نادر: أفهم من كدة إنك مش هتفهمني؟

طيب: ولو فيها موتي، أنا إللي أعرفه عنه مجرد قشور وصدقني إللي عاوزك تعرفه ده عدو لدود مش صديق أبداً.

- خرج طيب وســـابني في حيرة وخوف وفضول أكتر وخلاني عاوز أعرف إيه موضوع ليالي الأرواح الضالة بأي تمن.

مكنش عندي غير إختيار واحد! الكتاب.

الفصل السادس

(ليالي الأرواح الضالة)

فتحت الكتاب (وإللي عمري ما هقولكم إسمه) على الجزء بتاع شرح الطلاسم...

وبدأت أتبع خطوات شـــرح الطلاسم، وإللي ماتفرقش كتير عن إللي عملتها قبل كدة غير شوية إختلافات بسيطة أهمها إن أنا في الأخر بقول إسم الطلسم إللي المفروض أعرف معناه وتأثيره وقولت بدلاً منه ليالي الأرواح الضالة.

وكتبتها على ورقة فاضية بعـــد الجزء ده في الكتاب بدبوس مغموس في دمـــي، وعلى مراية الأوضة بصباعي المتلطخ بدمي بردو كتبت ليالي الأرواح الضالة ... وقفلت نور الأوضة تماماً ونمت.

نمت وأنا مـــش عارف إللي عملتـــه ده هيديني إجابة شافية ولا خارج نطاق صفحات الكتاب!

بس من الواضح إن إمكانيـــات الكتاب أكبر بكتير من درجة تخيلي، شـــوفت في منامي راجل كبير في الســـن بشوش الوجه دقنه بيضا واقف قدام باب أوضتي بيبتسم لي وبيشـــاورلي أمشـــي وراه، خرجت من الأوضة وإللي بمجرد ماخرجت لقيتني قدام المشرحة والتلاجة إللي كان

فيها زملينا «عمر» ، الشخص ده إتكلم وقال بنفس الصوت (ليالي الأرواح الضالة).

قولتله: إنت إللي كنت بتقولها ليّا في وداني كل شوية؟

الرجل العجوز: بالضبط وكويس إنك أدركت الرسـالة وفهمت إن كتـاب (.......) هو إللـي هيدلك على الطريق الصح

نادر: طب فهمني

العجوز: فعلاً زي ما طيب قالك الطقس ده صعب جداً لكن إنت عندك قدرات تختلف عن أي حد والطقس هيفرق معاك

نادر: عاوز أفهم

الراجل العجوز : من أيام ممالك السـحرة القدماء كان الطقس ده بيمـارس لأطالة أعمار الكهنـة، حرفياً كان بيعيشوا مئات السنين في شباب دائم...

ومش بس كدة، قدرات أكتر ونفوذ وسـيطرة أكتر، ولو على إنك تعيش وتخلد أعتقد دي لوحدها كفاية.

نادر: بس طيب قال إن الموضوع ده خطر جداً

الراجل العجوز: أنا خادم من خدام الكتاب وهساعدك

نادر: طب هو ليه مدبولي مكانش عنده الســـطوة ولا القوة دي طالما الكتاب كان معاه؟!

العجوز: علشـــان هو أولاً كبير سناً، ثانياً طموحه كان فلوس، ثالثاً ودي الأهم مدبولي كان غبي وكل خدام الكتاب كانوا بيحدفوه لبعضهم ومحدش عاوز يساعده.

الكتاب إللي معاك مش مصباح علاء الدين أي حد يلاقيه هيعرف يستخدم كل إمكانياته، بالعكس الكتاب هو إللي بيحدد لمستخدمه الحد الأقصى من الإستفادة، يعني واحد زي مدبولي إستفادته من الكتاب كانت ماتزيدش عن ٢%

نادر: طب وأنا؟

الراجل العجوز: الكتاب إللي طلب منك تدور على ليالي الأرواح الضالة من بداية إســـتخدامك له و دي لها مدلول عظيم جداً

نادر: مدلول إيه؟

الراجل العجوز: إنك عاجب الكتاب يا نادر!

نادر: طب أنا مطلوب مني إيه؟

الراجل العجوز: إحنا معانا ٣ ليالي مطلوب منك فيهم النوم بجوار أكبر عــــدد من الميتين اللي جوا التلاجة دي، كل ليلة هتنام في درج من الأدراج دي جنب جثة

نادر: وبعدين؟

الراجــــل العجوز: بعد نهاية ال ٣ ليالي إنت هتشـــــوف بنفسك، بس لازم تعرف إن في ٣ أشخاص عايشين عمرهم هيتقص ويا سلام لو كانوا من أعدائك.

نادر: يعني إيه عمرهم يتقص؟

الراجل العجوز: أســـــئلتك كتير والليلة الأولى هتضيع وإنت بتسأل.

نادر: طب وهقنع إزاي عامل تلاجة الموتى إني أبات مع ميت؟

الراجل العجوز: مش بتاعتي دي

نادر: طب ليه مش تربة مثلاً؟

الراجل العجوز: لأ في القبر الروح بتكون عرفت وفهمت إنها وصلت للنهاية وملناش أي إســــتحواذ عليها، إنما في التلاجة الـــــروح فعلاً بتكون حائرة ضالـــــة وإحنا بنقدر

نصفيها بطريقتنا! علشـــان كدة إســـمها ليالي الأرواح الضالة أو الحائرة.

نـــادر: طيب مطلـــوب أعمل حاجة وأنا جـــوا في درج التلاجة؟

الراجل العجوز: روح وهتفهم

نادر: أنا ما حددتش مين هيتقص عمره

الراجل العجوز: روح وكل حاجة هتتم.

نادر: طب صحيني علشان أروح بجد

الراجل العجـــوز: إنت صاحي يا نـــادر بالفعل، أدخل وشوف هتعمل إيه

- من بعيد سمعت صوت مش غريب عليّا بيزعق:

إمشي من هنا يابني.

إهرب...توب...إرجع لربك...قدامك فرصة أخيرة.

نادر: الصوت ده أنا عارفه، مين ده؟

الراجل العجوز: الملايكة لو حابب تسمع لهم براحتك

نادر: بس الصوت...ده..

الراجل العجوز: الوقت بيعدي!

الصوت البعيد: أنا مش قادر أوصل أكتر من كدة، هتضر نفسك أكتر من كدة إيه!

بلاش الأرواح الضالة

بلاش الأرواح الضالة

بلاش الأرواح الضالة

تجاهلت الصوت ومشـــي العجوز وأنا إتحركت ناحية باب التلاجة وخبطت، وفتحلي الباب شـــاب في منتصف العشرينات من عمره بيدخن سيجارة وبيبصلي بإرتياب شديد وخوف وقالي وهو بيتلعثم:

إنت..إنت مين..وعاوز إيه ياحضرت؟!

ومع رعبه ولخبطته غيـــرت في لحظة كل الخطة إللي كنت حطيتها، كنت ناوي أدخله دخلة الرشـــوة من الأخر بس كل ده إتغير حالاً بالكامل.

نادر: أنا جاي من طرف مولانا إنت إسمك إيه؟

الشاب: أنا إسمي فاروق

نادر: طيب يا فاروق مولانا له طلب ولازم يتنفذ

فاروق: مولانا مين وطلب إيه؟

نادر: مولانا إللي كلنا عايشـــين في بركته هو قال إنك خايف من الشغل هنا

فاروق: أيـــوة أه والله أنا ماكملتش أســـبوع ومرعوب وعاوز أمشي

نادر: إيه إللي مخوفك يافاروق؟

فاروق: الميتيين إللي جوا

نادر: أهو أنا بقى جاي علشان الميتيين إللي جوا ومولانا باعتني علشان ألحقك قبل ما يأذوك

فاروق: يأذوني ليه هو أنا عملت لهم حاجة؟!

نادر: المهم كمان هتاخد فلوس ولو عاوز بعد ما أخلص إللي مولانا باعتني به ممكن تسيب الشغلانة كلها.

فاروق: أنا مش فاهم مطلوب مني إيه

نـــادر: ولا حاجة أنا هجيلك هنا ٣ مرات وأول مرة منهم الليلة، كل المطلوب منك تدخلني جوا وتقفل عليّا وتديني ملف الجثث إللي جوا.

فاروق: ولما يعرفوا هنا؟

نادر: هيعرفوا إزاي ما إحنا بالليل، وبعدين إنت بطولك مين هيقولهم؟!

فاروق: وهتقعد قد إيه جوا؟

نادر: معرفش لما مولانا يأذن لي أخرج هخرج

فاروق: طيب، المهم تقوله ما يغضبش عليّا ويساعدني أكمّل فرش شقتي علشان الحالة ضنك أوي

نادر: حاضر يا فاروق

- أخدت ملف الجثث وفاروق خبط على باب التلاجة ٣ خبطات وقالي: لما تحب تخرج خبط على باب التلاجة من جوا وهفتحلك، لو وقفت جوا تنادي مش هفتحلك إنت أكيد فاهم إن المكان ده له أصول.

بمجـــــرد مافتح الباب هب عليا هوا ســــاقع بارد برودة الموتى، ولوهلة لمحت كل الأدراج إتهزت هزة بسيطة حتى فاروق ما لاحظهاش من كتر ما كانت خاطفة.

فاروق: هسيبك زي ما إنت طلبت، مش كل الأدراج على فكرة فيها جثـــــث، هتلاقي المليان وهتلاقي الفاضي، إنت عارف هتعمل إيه بالضبط؟

نادر: أقسملك ما أعرف أنا هنفذ إللي إتطلب وخلاص.

- خرج فاروق وقفل الباب وسابني لمصير مجهول.

- هو أنا ليه سواء زمان أو دلوقتي لازم ما يعديش عليّا سنة غير لما أكون إتدفنتلي مرة ولا إتنين مع ميتين.

وقفت قدام أدراج التلاجة ومدي ضهري للباب الرئيسي وبفكر هبدء بمين الليلة.

روحت على أول درج في وشي شديت المقبض وأنا في منتهى الخوف ماهو يا جماعة مهما الواحد شاف مفيش بعد رهبة الموت!

(الدرج رقم ١٧)

الدرج الأولاني طلع فاضي، مديت إيدي على الدرج إللي تحته وإذا بشحنة كهربا بتسري في جسمي كله طيرتني لورا خلتني أخبط في البـــاب وأقع في الأرض، ببص على الدرج وأنا قاعد فـــي الأرض لقيته ما إتفتحش أصلاً، كان واضح إن مش أنا إللي هختار الأدراج وخصوصاً إني لقيت درج مكتوب عليه رقم ١٧ بيتفتح بهدوء شديد وإيد سودا بتمســـك في جانب من جوانب الدرج كأنها بتسند علشان

تخرج، من شـــكل الإيد كان واضـــح إن الجثة محروقة ما إحتاجتش أســـتنى كتير علشـــان أتأكد من المعلومة دي خصوصـــا لما الجثة قامت قعـــدت وخليني أوصفهالكم بالضبط...

- بشرة سوداء متفحمة، الشفايف مش موجودة تقريباً متآكلة

- الأسنان بيضا مخيفة، الجفون مش موجودة، العيون مستديرة جاحظة لبرة

- العضمتين إللي تحـــت العينين بارزين لبرة، الرأس بدون شـــعر اللهم إلا بعض خصـــلات متناثرة في أنحاء الرأس

- ترتدي فســـتان أبيض شبيه بالفساتين الشهيرة في أفلام الرعب

كانت بتلف راسها يمين وشمال بتدور على حاجة لحد ما عنيها جت عليّا!

نزلت من درج الأموات وماعرفتش تحافظ على توازنها فســـندت على إيديها ورجليها وبدأت تحبي زي الأطفال

ناحيتي وبيخرج منها صوت مش عارف أوصفهولكم هو صوت كأنه خـــارج من بطنها، وبرغـــم إن حركتها كانت بطيئة جداً إلا إن البطء ده كان بيخلص عليّا واحدة واحدة.

حاولت أقـــوم من مكاني مش قادر ومع كل حركة كنت بعملها كان صوتها بيعلى وبتكشـــر عن فكها البشـــع فمكنش قدامي غير إني أستسـلم تماماً وأشوفها هتعمل إيه، فضلت تقرب لحد ما وصلت عند رجليا وبدأت تشـــم فيهم زي الحيوانات وتوقفت عن الحركة وكأنها مســـتنية مني إن أنا يكون ليّا أي رد فعل، مســـكت بإيديها رجليا الإتنين وبدأت تســـحبني ناحية الـــدرج إللي خارجة منه مكانش الموضوع ســـهل عليها لكنها كانت مصممة على سحبي للمكان إللي خرجت منه، خلصت رجليا من إيدها وقومت وقفـــت ونطيت دخلت في الدرج رقم ١٧ نمت على ضهري وبإيديا الإتنين مســـكت ســـقف الدرج وسحبت نفسي لجوا لحد ما الدرج إتقفل عليّا.

أخر حاجة عيني جت عليها كانت الجثة الحيّة دي وهي بتبصلي ونظرات عنيها خالية تماماً من أي تعبيرات.

بمجرد ما الدرج إتقفل خبط جسـمي قشعرة ورجفة، بمجرد التفكير في الموقـف إللي أنا فيه، أكيد الموضوع مش هيكون مجرد نومة والدليل الخروشة إللي أنا سامعها دلوقتي والحكة إللي أنا حاسس بيها عند رجليّا.

ضلمة، عتمـة، رعب من المجهول، صوت أنفاس بتلف حوالين وداني، هوا سـاقع بيلف جسـمي حتة وإيد باردة ماسكة كف إيدي اليمين.

البرد بيزيد وخاطرة جت في بالي إني في وقت زي ده مكانش عندي غيره ألجأ له... ربنا.

لكن العهد إللي دخّلت نفسـي فيه من أول ما إقتنيت الكتاب بيمنعني إني حتى أفكر في ربنا.

مخادتش معايا وقت الخاطرة دي لأن من هناك من عند صوابع رجليا تحديـداً لمحت ضوء خافت مكانش واضح في الأول لكن واحدة واحدة بدء يبان وإكتشـفت إنه مش ضوء ده لهب بدء صغير عند رجليا وبيكبر تدريجياً.

نار مسكت في رجليا وبقت تحرق في لحمي وبتتنقل بسـرعة مخيفة لباقي جسـمي، كنت بصرخ جوا الدرج وبنادي على عامل التلاجة علشـان يلحقني ولا حياة لمن

تنادي، إستســـلمت وإســـتنيت اللحظة إللي ينتهي فيها الكابوس ده وإذا بالدرج يتفتح بمنتهى العنف نطيت برة الدرج وكل هدومي كانـــت محروقة وهناك عند الدرج رقم ١٧ شـــوفتها بتنام جوا الدرج والدرج بيتقفل بهدوء شديد فضلت أخبط على الباب بتاع التلاجة وأنادي على فاروق عامل التلاجة إللي أول مـــا فتحلي صرخ من الصدمة، ما دارش بينّا حوار غير إنـــي قولتله: بكرة هجيلك في نفس المعاد.

معرفش وصلت البيت إزاي، جريت قلعت هدومي كلها ووقفت أبص على نفســـي في المراية علشـــان أتطمن إن جسمي سليم وفعلاً جسمي مكانش فيه حرق واحد.

عند باب الأوضة شـــوفت الراجل العجوز كان مبتسم وقالي: حصدت أول روح باقيلك إتنين، وإختفى!

إترميت على السرير وأخر حاجة فاكرها قبل ما أنام إني سألت نفســـي ياترى مين من أعدائي إتقص عمره مع أول روح ضالة؟

ونمت، كان نوم هادي خالي مـــن الكوابيس جاي بعد ساعات عصيبة قضيتها في الدرج رقم ١٧.

اليوم إللي بعده الصبح صحيت على مكالمات كتير من أمي رديت متوقع إنها هتقولي إن الشيخ لطفي مات لكن المكالمة مشيت كالآتي..

والدة نادر: أنا مش عاجبني حالك إللي وصلتله ده

نادر: ماله حالي يا ماما؟

والدة نادر: إنت ما سـيبتش حد مـا زعلتوش قبل ما تمشي وأختك أمنية ما بتخرجش من الأوضة من وقتها

نادر: ليه يعني هو أنا كنت عملتلها حاجة؟

والدة نادر: يا نادر أختك ملهـاش غيرك من بعد موت أبوك

نادر: والمطلوب منّي إيه؟

والدة نادر: تيجي تصالحها وتطيب خاطر الحاج مختار إللي كسفته الراجل ما يستاهلش منك كدة

نادر: يا ماما ده راجل مُبالغ فيه

والدة نادر: وإيه الجديد ماهو كدة على طول وإنت كنت متحمله ومبسوط، إيه الجديد بقى؟

نادر: الجديد إن أنا إتغيرت

والدة نادر: إتغيرت للأسوء، لو كل واحد ربنا فتحها عليه وكبر في شغله إتغير على الناس قول على الدنيا السلام

نادر: طب سلام بقى علشان أنا مش فاضيلك

والدة نادر: إيه هتقفل في وشي السكة ولا إيه؟

نادر: في إيه يا ماما؟

والدة نادر: بقولـــك أختك تعبانة وإمبارح بالليل تعبت أوي

نادر: هاتيلها دكتور أمنية متدلعة بزيادة بس والبركة فيكي.

والدة نادر: إللي تشوفه يابني ربنا يصلحلك حالك، بس خلّي بالك أنا ما شـــوفتكش بتركعها وإنت في البيت ولو إللي في بالي صح وبطلت تصلي ربنا مش هيباركلك في أي حاجة وأول حاجة هتتضر شغلك إللي إنت فرحان به ده

نادر: تمام وصلت النصيحة، حاجة تاني؟

والدة نادر: إنت مش ممكن تكون نادر إبني

نادر: أنا لازم أقفل علشان أقوم ألبس وأروح الشغل.

- أنهيت المكالمة مع أمي بعدما هي كمان قالتلي: إنت مش نادر للدرجادي كانوا بيحبوني بشخصيتي الضعيفة الإنهزامية؟ وأول ما بدأت أشـــم نفســـي بقيت مش نادر براحتهم بقى.

فطرت بسرعة وروحت المكتب وأول ما شوفت مدبولي وهو بيحطلي كوباية الشاي قولتله:

نادر: بقولـــك إيه يامدبولي إنت تعرف حاجة إســـمها الأرواح الضالة؟

مدبولي: أه أعرف إللي زيك كدة

نادر: يعني إيه؟

مدبولي: يعني واحد ربنا مديله كل حاجة هيسيب كل ده ويمشي في السكة الشمال

نادر(ســـاخراً): ده على إعتبـــار إن حضرتك كنت إمام جامع؟

أفكرك عملت إيه فيّا أنا وهالة؟

(لمزيد من المعلومات برجاء العودة لرواية..)

مدبولي: ما بقولش إني إمام جامع بالعكس أنا كل إللي عملته غلط بس عقاب ربنا ليّا كان كبير أوي جه في إبني، فوق يا أســـتاذ نادر قبل ما الكتـــاب ياخدك أكتر من كدة وتفقد إللي بتحبهم واحد ورا التاني

نادر: مجاش جوابات النهاردة؟

مدبولي: لا والله مجاش

مر اليوم بهدوء اللهم إلا رسالة واحدة من أمنية بتقولي: أنا تعبانة ومش عارفة مالي

وكان ردي عليها إني هكلم حد من زمايلي إللي في البلد يجيبلها دكتور.

تعمدت أطوّل في الشغل لحد المغرب علشان أطلع من الشـــغل على تلاجة الموتى وده إللي حصل فعلاً، أول ما فاروق عامل التلاجة شافني قالي:

فاروق: وصيت عليّا مولانا؟

نادر: طبعاً وباعتلك معايا دول كمان

فاروق: إيه دول؟

نادر: كل طوبة من دول لفها حوالين سـريرك قبل ما تنام وخلال أسبوع هتسمع أخبار تفرحك

(بالمناسبة يا جماعة الطوب ده أنا جبته من على باب المستشفى وأنا داخل).

فاروق صدق وبلع الطُعم وقولتله: يلاّ علشـان أدخل تاني.

فاروق: بس في حاجة غريبة حصلت بعد ما إنت مشيت

نادر: حاجة إيه؟

فاروق: الميتيين هاجوا، هاتك يا خبـط ورزع جوا التلاجة وأدراج تتفتح وتتقفل وأصوات تخوّف جداً، شوف وقتها كنا بالنهار بس بردو خوفت وطلعت وقفت برة لحد ما هديوا لما عليت القرآن الكريم.

نادر: هقول لمولانا يا فـاروق الموضوع ده، مش يلاّ ندخل بقى؟

(الدرج رقم ٣)

فتح فاروق باب التلاجة ودخلت وقفل عليّا زي إمبارح، وقفت مدي ضهـري لباب التلاجة وبـص على الأدراج

مستدني أي أشـــــارة من جثة النهاردة، بعد حوالي دقيقتين لاحظت سرســـــوب ميّة بينزل من الدرج رقم ٣ وكأن الدرج بيتملي ميّة وفاضت وبتنزل منه، السرســـوب زاد والدرج إترج وبدأ يخرج منه ميّة كتير وهو لسه مقفول.

الميّـــــة بتغــــرق الأرض وكان واضح إن هـــــو ده درج النهاردة، روحت للدرج ده على طول وفتحته لقيت الميّة جواه بتفور ومش شايف أي جثث، بالمناسبة مش فوران المقصود به إنها بتغلي، لا كانت بتتقلب بسرعة، إنهمرت الميّة من الـــــدرج أكتر وإنفجرت في وشـــــي، رجعت لورا خطوتين ورجعت تاني للدرج علشــــــان أبص عليه حاولت أتفحص بعنيا وأدور على الجثة مش شايف حاجة، مديت إيدي جوا الدرج أدور يمكن ألاقـــــي حاجة وفي لحظة إيد مسكت إيدي وشـــــدتني بمنتهى العنف جوا الدرج لدرجة إن راســـــي إتخبطت في الدرج إللي فوقيه فدوخت والدنيا ضلمت قدامـــــي وكل إللي فاكره قبل مــــا أفقد الوعي إني دخلت بجسمي كله جوا الدرج وإتقفل عليّا.

ضلمة، خنقة، شـــلل تام من جديد ونايم على ضهري ومفيش نقطة ميّة حواليّا بس حاسس بتُقل رهيب فوقي، كأن في طور نايم عليّا وسامع صوت حد بيغرق وبيقول:

أنا نزلت في الغريق، إلحقوني

أنا مبعرفش أعوم

أنا بغرق حد يلحقني

وبدء الصوت يبعد وســـاد المكان صمت تام ما دامش طويلاً لأني ســـمعت صوت ميّة بتملى الدرج كانت بتغمر الدرج وأنا بحاول أحافظ على هدوئي علشان أنظم تنفسي، لكن في الأخـــر الميّة غمرتني بالكامـــل ومش باقي غير مناخيري وبوقي إللي بـــرة الميّة، الموضوع ماطوّلش لأن الميّة غمرتني وبمجرد ما وشي كله بقى في الميّة فضلت كاتم نفسي ومغمض عنيا وكأني هزود من عمري دقيقة لكن في الأخر إستســـلمت، فتحت بوقي وحسيت بالميّة بتخترق الرئتين وجربت الموت غرقاً وعرفت الغريق أخر حاجـــة بيمر بيها بتبقى إيه قبل مايمـــوت، فتحت عنيا شـــوفت ضلمة زي إللي بنشـــوفها في أعماق البحار في

برامـــج التلفزيون أو في الغوص للي بيحبوا يمارســـوه، كنت عامل زي إللي طاير جوا الضلمة دي.

شـــوفت ضوء جاي من بعيد كان بيقرب بهدوء لحد ما بقى في وشي، الضوء قل وقدرت أشوف بوضوح فإكتشفت إن الضوء وراه أخر حد كنت متوقع أشوفه.. هالة!

كانت بتبصلي بنظرات كلها عتاب وحزن، ما إتكلمتش وإدتني ضهرها ومشــيّت حاولت أعوم وراها لكن حسيت بحاجة زي الزلزال ومن فوقي شـــوفت زي ما تكون طاقة نور بتفتح ولقيت دراع ظهر من العدم بيشـــدني لفوق، ســبت نفســـي له لقيتني قعدت في الدرج والدراع إللي كان بيشـــدني كان صاحبه واحد ميت واقف قدامي وشه أزرق منفوخ عمـــال ينزل من ودانه وعينيه ومناخيره ميّة وبيبصلي بنظرة كلها غضب وبيشـــاورلي إني أخرج من الدرج كأني مثلاً نايم في بيته!

تحاملت على نفســـي وخرجت برة الدرج وبمجرد ما خرجت هو دخـــل مكاني ورجع الدرج يتملي ميّة وإتقفل عليه، لقيـــت محفظتي وتليفونـــي مرميين في الأرض

مجاش عليهم نقطة ميّة شـــيلتهم وخبطـــت على باب التلاجة وفاروق فتحلي وعلى وشــــه نفس نظرات الذهول وقالي:

فاروق: إيه إللي مغرقك كـــدة إنت فتحت الدرج رقم ٣ ولا إيه؟

نادر: إشمعنى؟

فاروق: ماهو الجثة إللي فيه لواحد غريق وبالمناسبة الجثة بتاعة الدرج ١٧ محروقـــة ومجهولة بردو، إنتوا إيه حكايتكوا بالضبط؟

نادر: أنا همشي وهجيلك بكرة

فاروق: طب إستنى لما هدومك تنشف

نادر: أنا مشيت وهدومي محروقة إمبارح هتفرق إيه؟

وأنــــا واقف بكلمه ظهر من وراه نفس الراجل العجوز بنفس الإبتســـامة وقالي: حصدت الـــروح الثانية باقيلك الأخيرة.

روحت غيرت هدومي وإترميت على السرير لحد اليوم إللي بعده، صحيت من النوم مُجهــد وقررت ما أروحش

الشغل النهاردة، بعتّ رســالة لعُلا قولتلها: بلغيهم إني مش هقدر أجي النهاردة، شـــافت الرسالة وماردتش قولت أكيد لسه مقموصة.

وبما إني فاضي النهاردة لحد معاد الروح الثالثة جبت الكتاب وفضلـــت أقلب فيه وكل أما أقلـــب صفحة أنبهر بمحتوى الكتـــاب، فعلاً الكتاب مـــش ممكن يكون بني أدم إللي كتبه أنا مـــش عارف إزاي كنز زي ده كان في إيد مدبولي وفرّط فيه بالسهولة دي، معقول الكتاب يكون له دخل في موت إبنه؟

على العموم أنا مش بالغباء ده إللي يخليني أسمح إن الغدر بتاعه يقع على حد مني.

فضلت صاحي للفجر بفكر في كل إللي حصل.

علاقـــة الليلة إللي فاتـــت وإللي قبلهـــا كانوا أصعب مايكون، ياترى النهاردة هتكون إيه؟

أنيني قابلت محروق وغريق فاضـــل إيه من الموتات البشعة علشان أعيشها النهاردة؟

هانت كلها كام ســـــاعة وأشوف بعذيّا، الوقت مر يومها بيطء وعلشان أكسر الملل خرجت أتغدى برة وعلى المغرب كنت بخبط على فاروق إللي قابلني بوّش مخطوف وإتكلم بصوت واطي وقالي:

فاروق: مش هينفع دلوقتي يا أستاذ نادر

نادر: هو إيه إللي مش هينفع دلوقتي؟

فاروق: مش هينفع تدخل

نادر: ليه؟

فاروق: علشـــــان في جثـــــة هنســـتلمها دلوقتي إللي المفروض الإســـعاف هتجيبها خلال نص ساعة أو ساعة بالكتير

نادر: برده مش فاهم إيه العلاقة؟

فاروق: يعني يدخلوا يحطوا الجثة في التلاجة يلاقوك نايم جوّا؟!

نادر: عندك حق، والعمل؟

فاروق: لو مســـــتعجل أقعد هنا جنبي لحد مايجيبوا الجثة وبعدها أدخل ونام في الدرج زي ماتحب إنشـــــالله تنام للصبح

نادر: إنت عرفت منين إن أنا بنام في الدرج؟

فـــاروق: أكيد من كاميرات المراقبـــة، بصراحة أول ما بتدخل بفضل أتفرج أشوفك هتعمل إيه

نادر: وبتلاقيني بعمل إيه؟

فاروق: ليه هو إنت مش عارف إنت بتعمل إيه؟

نادر: بقولك قولي بتشوف إيه؟

فاروق: حاضر ماتزوقش في الكلام، إنت بتدخل من هنا تقوم واقف زي التمثال والنور جوا يبدء يترعش وبتتحرك ناحية الأدارج بعدها النور يتقطع، بقولك إيه تعالى شوف بنفسك أحسن في الشاشة أكيد هتكون فاهم أحسن مني.

شـــغّل فاروق ڤيديو كاميرات المراقبة أول يوم وإللي حصل الآتي..

دخلت قلعت ســـاعتي وحطيتها فـــي الأرض ومعاها الموبايل والمحفظـــة والملف بتاع الجثث وقلعت الجزمة والشراب ولزقت في باب التلاجة شوية بعدها إديت ضهري لأدراج التلاجة وبصيت للحيطـــة وفضلت على الحال ده

أكتر من خمس دقايق بعدها رفعت إيدي الشـــمال ولفيت بجسمي ١٨٠ درجة وبإيدي إللي رفعتها شاروت على درج معيّن كان الدرج ده رقم ١٧، إتحركت بشكل لا إرادي كأني منّوم مغناطيســـياً، إللي لاحظته وأنـــا رايح ناحية الدرج إن كان في دخان بســـيط طالع من جسمي وهدومي كأني هتحرق وبمجرد ما وصلت للـــدرج الدنيا ضلمت تماماً، فاروق كان عايز يجزّي الصورة قولتله لإســـتنى، فضلت أدقق لمحت في الضلمة بصعوبة الدرج بيتفتح وأنا بدخل فيه بعدها مفيش حاجة حصلت لمدة طويلة لحد ما النور رجع وأنا واقف ولبسي محروق، فضلت واقف على الحال ده مدة مش بســـيطة والدرج مفتوح والجثة موجودة فيه، فين وفين بدأت أتحرك وفي نفس الوقت الدرج كان بيتقفل بمنتهى الهدوء.

فاروق نطق في الوقت ده وقال:

فاروق: أنا عايز أفهم الـــدرج ده إتفتح وإتقفل لوحده إزاي؟

نادر(ضاحـــكا): هي دي الحاجة الوحيـــدة إللي [illegible] لاقيلها تفسير يعني؟ شغل الڤيديو التاني يلاّ

فاروق: حاضر أدينا بنتســلى لحد ما الجثة الجديدة توصل أنا هشـــغلهولك وهدخل أشوف الدرج إللي هنحط الجثة فيه غالباً هيبقى رقم 5.

شغّل فاروق الڤيديو ومشي وهو داخل نبّه عليّا إن لو حد جه أناديله بس لازم أخبط على الباب الأول.

بـــدأ الڤيديـــو بنفـــس الطريقة وبنفس ســـرحاني وإنصياعي التام لشـــئ مش ظاهر حطيت حاجتي بردو على الأرض وإتوجهت ناحية الدرج رقم ٣ وإللي لما دققت معاه كان بينزل ســـائل أسود تقيل مش ميّة زي ما حصل معايا، قربت من الدرج إللي إتفتح لوحده وخرج منه إيدين رفيعين متغطيين بحاجة أشـــبه بالشحم، قربت ودخلت وشـــي بين الإيدين دي إللي بدأت تتحسس وشي وبحركة مباغتـــة خبطت دماغي في الدرج وســـحبتني جوا الدرج وكان جســـمي زي مايكون مافيهـــوش عضمة، كان ليّن جداً لدرجة إني دخلت الـــدرج زي العجينة، إتقفل الدرج بعنف وإنقطـــع التيار الكهربي، فضلت أدقق في الصورة المضلمة.

إتكون في وسط الضلمة كيان عبارة عن راجل عجوز مع شوية تركيز إكتشفت إنه نفس الدليل إللي بيظهرلي، إللي بحكيه لحضراتكم ده أنا شايفه بالعافية لأنه جوا الضلمة والعتمة مد العجوز إيده فتح الدرج النور رجع في الوقت ده، والعجوز إختفى وأنا خرجت من الدرج زي الغريق إللي لقي طوق نجاة ورجعت وقفت أخدت حاجتي وإبتسـمت إبتسامة مخيفة وقولت جملة بس للأسف الصورة مفيش معاها صوت فعِدت الڤيديو أكتر من مرة علشان أعرف أقرأ شفايفي وأشوف بقول إيه بس بدون أي فايدة.

خرج فاروق بسرعة من التلاجة وقالي:

فاروق: أنا قولتلك لما حد يخبط على الباب تناديلي

نادر: ماهو محدش خبط

فاروق: هو إيه إللي محدش خبط؟! أنا سـمعت الخبط وأنا جوا، قوم أقعد على الكرسي التاني وما تنطقش خالص ولو حد سألك، إنت إبن عمي وجاي تزورني من البلد.

فتح فاروق للمسـعفين ودخلوا بجثة محطوطة جوا الجراب الأسود إللي بيتحط فيه الميتيين، كان هو وإتنين

مسعفين دخلوا وأنا فضلت أعيد في اللقطة لحد ماعرفت أنا بقول إيه، كنت بقول:

بكرة الدرج رقم ٥ في الوقت نفســه فوقت على صوت فاروق وهو خارج مع المســعفين وبيقولهم أنا معنديش أدراج غير رقم ٥ وأديكوا إستخدمتوه وحطيتوا فيه الجثة دلوقتـــي لو جبتوا ميتيين تاني هبـــدأ أنيمهم في حضن بعض، وضحكوا التلاتة.

الجملة نزلت عليّا زي القلم على خلقتي مع إن فاروق كان قايل موضوع الدرج رقــم ٥ ده قبل كدة بس المرادي الرد جـــه فوري ومن قبل ما أدخل أنا عارف وجهتي الدرج رقم 5.

(١ الدرج رقم خمسة)

ليه المرة دي بالذات الرسالة مباشرة بالشكل ده؟

ليه المرادي تحديداً بتوّجه ناحية الدرج رقم ٥ من قبل حتى ما أدخل التلاجة؟

مش هشــغل بالي ولا بالكوا بتكهنـــات كلها دقايق وهشوف بعنيّا ليه تحديداً الدرج رقم 5.

من غير ما أتكلم مع فاروق فتحت باب التلاجة ودخلت وروحت على طول على الدرج رقم 5 شديت وفتحته بدون تفكيـــر أو تردد، الجثة قعدت وشـــهقت وكأن الروح ردت فيها، في الحالات العادية المنظر يشيّب بس إللي شيبني منظر تاني خالص!

فضلت أصرخ وأقول:

إنت!!

إنت!!

إنت!! وأزعق..

قعد فـــي الدرج يتلفت حواليه وســـمعت نفس صدى الصوت بيقولـــي: دي أخر فرصة ليك إهـــرب يا نادر من الأرواح الضالة.

طبعاً عايزين تعرفوا مين صاحب الجثة؟!

صاحب الجثة يبقى أبويا(مصطفى عبدالرحيم فودة).

نادر: إنت إزاي، أنا دافنك بإيديـــا إزاي تدخل هنا! إنت ميت من سنين!

إلتفت لي وهو قاعد في درج الأموات وبصوت جاي من أعماق الجحيم وبمنتهى الشر قالي:

أنا الروحٌ الثالثة!!!

نادر: لا يا أبويا الموضوع فيه حاجة غلط

والد نادر: هو أكيد غلط من أول ما دخلتك الشغلانة دي بإيديا، أنا موتي كان على إيدك إنت

نادر(صارخاً): أنا مليش ذنب يعني إيه موتك كان على إيديّا؟

والد نادر: لا إنت عارف كويس إنك السبب في هلاكي

نـــزل أبويا من الدرج الخامس وقـــرّب مني وأنا واقف وقالي:

والد نادر: تحب تحصل على الروح الثالثة دلوقتي بس إنت أكيد عارف الشرط إنك تعيش لحظات موتي بالتفصيل اللي كنت سبب فيها!

نادر: بقولك أنا مليش ذنب، أنا مجيتش جنبك

والد نادر: ماهو مش لازم يكون بإيدك ولا نسـيت كلام كساب ليك، إنت مؤتله أبوه وهو مؤتلك أبوك فنقدر نقول إن إللي حصل ده بشكل أو بآخر إنت السبب فيه.

نادر: كسـاب مين إللي أنا مؤتله أبوه؟! أنا معرفش حد بالإسم ده!

والد نادر: إيه معقول لحقت تنسـاه؟ على العموم أنا دوري إني أخليك تعيش اللحظات الأخيرة في حياتي كونك بقى تفتكر أو ماتفتكرش دي بقى مش بتاعتي، إفتكر يا نادر وإرجع بالذاكرة معايا لمشـهد طول عمرك بتحاول تهرب منه.

لقيتني برجع لمشـهد فعلاً بكرهه ومابحبش أفتكره، لقيته بيتكرر قدامي بكل تفاصيله، بعيشه بكل جوارحي من جديد، لقيتني واقف قدام بيتنا علشـان أستقبل أكبر حزن في حياتي!..

هحكي لكم المشهد وأعتقد إنكم هتفتكروه...

كراسـي في الشـارع قدام بيتنا صوت قرآن خارج من بيتنا بصوت الشـيخ محمود خليـل الحصري بيأكد إن البيت ده فيه ميت!

كنت ماشي وأنا بقدم رجل وبأخر رجل لحد لما الناس إللي واقفين قدام البيت لمحوني جم بسرعة ناحيتي وكل واحد منهم بـــدء يكلمني.. كانوا كلهم بيتكلموا في صوت واحد و وقت و واحد:

- حمدلله على السلامة يا نادر كويس إنك متأخرتش، لسه قدامنا وقت على صلاة العصر

- أمك رافضة أي حد يدخل على المرحوم

- إنت مبتردش ليه يا نـــادر مش هينفع كده، إنت لازم تمسك نفسك عن كده

صرخت فيهم غصب عني:

- هو في إيه إنتوا شايفني بلطم وبقطع في شعري..!

إتصدموا من رد فعلي وكلهم ســـكتوا، إنســـحبت من وسطهم وتوجهت ناحية باب البيت بتاعنا ودخلت وطلعت السلم...

أول ما دخلت الشقة جريت على أوضة بابا حاولت أفتح باب الأوضة مفتحش.. فضلت أخبط وناديت على أمي أكتر من مرة لغاية لما الباب إتفتح.. أول لما شافتني قالت:

- إنت السبب..في إللي حصل لأبوك. من أول يوم بدأت تمشي ورا السحرة و الدجالين وإحنا شايفين الغم بسببك، أبوك مات وبنت خالتك مُخهـــا إتلحس والله أعلم هتأذي مين تاني يا نادر. روح كدة إكشف الغطا عن أبوك وإتفرج على نتيجة أفعالك ولا تحب أجي أكشفهولك أنا..؟

إتحركت ببطء ناحية السـرير إللي عليـه جثة أبويا المتغطية بكوفرتة وعقلي عمّال يتخيل مليون شكل لوش أبويا..

مديت إيدي ورفعت الكوفرتة عن وشـــه.. رميت الغطا وكتمت بوقي بإيدي عشـــان ما أصرخش ورجعت لورا من الصدمة.. أبويا ملامحه كانت بشـــعة مرعبة جداً، عينيه جاحظة وخارجة لبرا لدرجـــة إن الدم نازل منها ومغرق وشه ومتجلط وبوقه كان مفتوح على الآخر ونازل منه رغوة بيضا ولسانة لونه أسود حالك أما عن لون بشرة أبويا فكان بني مليان أثار حرق وأجزاء من الجلد متشالة وواقعة على المخدة جنبه ولحم الوش باين.. وعينيه مركزة على نقطة معينة في السقف

فجأة أمي شدت باقي الغطا عن باقي جسم أبويا عشان أتفاجئ بالباقي.. أبويا إيديه كانت مكلبشــــة وكان رافعها لفوق كأنه بيحمي نفسه من حاجة هتقع عليه من السقف وعلى رقبة أبويا آثار تقطيع وبقايا شـــوك مغروس في رقبته، ناهيك عن عضم وشه البارز بشكل مُفزع.

دخل الشيخ لطفي والحاج مختار علشان نغسّل أبويا،

كنت معظم الوقت أثناء الغســـل ببعد عينيا عنه مش عاوز أشوفه وسامع الشيخ لطفي عمّال يقرأ قرآن..

بصيت بطرف عيني على والـــــدي لقيته بيبص عليّا.. عينيه جت فـــي عينيا بعد ما كان باصص لفوق وفضلت عينيه بتتحرك معايا كل لما أتحرك يمين وشمال..

سمعت صوته بيتســـــل لوداني من غير مايفتح بوقه وبيقولي: {شوف نتيجة أفعالك}

{إنت كنت فاكرها لعبة وأنا إللي دفعت التمن وجه الوقت يا نادر تعيش لحظات الموت الأخيرة إللي أنا عيشتها بكل تفاصيلها المفجعة}.

بس ياترى هتقدر تتحمل إللي أنا إتحملته؟

إوعى تنسى أبداً إنك إنت كنت السبب في تدهور حالتي ونهايتي البشعة إللي كنت بتداري وشك علشان ماتشوفهاش.

إوعى تنسى أبداً ياناادر إنك إنت إللي موّتني.

تبدل المشهد ولقتني واقف في فراغ أسود بكلم نفسي:

- هو أنا فعلاً موّتّ أبويا؟

- هو أنا بعد ما دعيت عليه في صلاة الجنازة وديته في داهية؟

- هو أبويا بيدفع تمن حاجة أنا السبب فيها؟ (يرجى الرجوع لرواية النقش الملعون)

إتبدل المشهد لقيتني في بيتنا في البلد وأنا نايم على السرير وشايف أمي بتكلم أمنية وبتقولها لازم أخوكي يجي، أبوكي حالته بتتدهور وقربت مني وبتقولي إتكلم يا مصطفى بتبص لإيه ياخويا، في اللحظة ديه أيقنت إني مكان أبويا وبقيت جوا جسمه!

دخل عم مختار وباسني من جبيني وقال لأمي وأختي سيبوا مصطفى يرتاح شوية يمكن وجودنا مصعّب عليه إنه يروّح.

قامت أمنيـــة إنفجرت بالبكاء وقالت: خلاص كدة أبويا بيموت؟!

قام رادد وقالها: إدعيله يابنتي،وعيّط

طلعت ماما وأمنية و وقف عم مختار وقال: اللهم هوّن عليه سكرات الموت.

كنت عاوز أصرخ بعلو صوتي وأقول ماتســـيبونيش لوحدي لكن في حاجة كانت منعاني إني أنطق!

خرج من ورا الســـتارة شـــخص ملامحه مش واضحة وقالي: عيش يا نادر.عيش نهايـــة أبوك بكل تفاصيلها ، خليها تستنزف روحك لأخر قطرة.

بعدها إختفى وظهر مكانه كائن مخيف عابس الوجه ضخم البنيان ومد إيـــده ناحيتي كل إللي جه في بالي إن ده ملك الموت فضلت أحرك في راســـي يمين وشمال كأني بقوله: لا مـــش عايز أموت دلوقتـــي، خبط الأرض خبطة

كســـرت الحيطان وخرج ٣ وحوش أشبه بالغوريلا لكنهم أكثر بشـــاعة منها بملايين المـــرات وحجمهم أكبر منها بكتير ومن ورا الستارة نفس الشخص بيتكلم:

- بحق قوى الأعوان
- بحق الدم في الشريان
- وبكل ذلٍ وهوان
- تقبض روحك عاجلاً الآن

- بحق قوى الأعوان
- بحق الدم في الشريان
- وبكل ذلٍ وهوان
- تقبض روحك عاجلاً الآن

إتلفوا ال ٣ كائنات المخيفة ورفعوا إيديهم لفوق وخرج من إيديهم نار شقت السقف

وكوّنت فتحة منها للسما، ولقيت بينزل من الفتحة دي طيور مخيفة وشوشها بشــعة كلها بتنقض عليّا، رفعت إيديا الإتنين لفوق علشان أحوشهم عني وإذا بال٣ وحوش يوجهوا إيديهم بالنار إللي خارجة منها ناحيتي!

النار مســكت في كل حتة في جسمي والطيور نازلة نهش في كل حتة تعرف تاخدها مني، ومن بعيد ســـامع صدى صوت:

"إنا لله وإنا إليه راجعون، توفي إلي رحمة الله تعالى، نادر مصطفى عبدالرحيم فـــودة، إبن المرحوم مصطفى عبدالرحيم فودة، والدفنة الآن من مسجد عباد الرحمن إلى جهنم وبئس المصير»

فتحت عنيّا لقيتني رجعت التلاجة وأبويا واقف قدامي وبيقولي:

والد نادر: تحب تكمل؟

أديك شوفت قبض الروح بالشكل العبيط إللي إنت كنت فاهمه زمان.

- وأدخلك القبر من جديد؟؟؟

- وتشوف الويل من تاني؟

- ولا كفاية عليك كدة؟ أقولك.. كفاية عليك لأن إللي جاي أشد يا نادر!

نادر: أنا مليش ذنب في كل إللي حصلك، أنا طول عمري كنت بار بيك، مش مشكلتي إن نهايتك كانت سودا بالشكل ده

والد نادر: وهو مين كان السبب في النهاية دي؟ مش إنت؟

نادر: لا طبعاً مش أنا

والد نادر: إنت مش ممكن تكون نادر إبني، إنت طول عمرك عايش حاسس بالندم، وحاسس بتأنيب الضمير بسبب موتي، جاي دلوقتي تقول مش مشكلتي، إنت مين؟!

نادر: جرى إيه هي ليانة على لسان كل واحد فيكوا؟ حتى الأموات كمان بيقولولي إنت مش نادر؟!!

بتلفت حواليا لقيتني لوحدي في التلاجة، خبطت على فاروق فتحلي وأول ما فتح قال:

فاروق: أهو ده إللـــي كان ناقص، مرة بهدوم محروقة ومرة بهدوم مبلولة ومرة عريان ملط!!

أدركت في اللحظة دي إن أنا عريان تماماً، أخدت هدوم من فاروق ولبســـتها وطلبت منه يجي معايا جوا تلاجة الموتى ويفتح هو بنفسه الدرج رقم 5، فتح الدرج وصرخ وفضل يقول: مش ممكن..أعوذ بالله..يارب لطفك.

إللـــي كان في الدرج كان أبويا وكان شـــكله عادي زي مايكون نايم بالضبط، إلتفت لفاروق أقوله في إيه لقيته جري وخرج برة كان قاعد على الكرسي بيتنفض.

نـــادر: ممكن أفهم إيه إللي خوّفـــك؟ ما إنت على طول وسط الميتيين

فاروق: قسماً بالله الجثة دي غير إللي دخلت من شوية

نادر: طب ما عادي ما كلهم أموات

فاروق: لا مش عادي

نادر: تحب أقولك الجثة إللي إنت شوفتها جوا دي جثة مين؟ دي جثة أبويا ميت من ســـنين ومعرفش إزاي جثته رجعت ظهرت من جديد وجت هنا!

فاروق: أبوك مين؟! الجثة إللي في التلاجة جثتك إنت!

نادر(مصدوماً): نعم! إزاي يعني؟!

فاروق: بقولك جثتك إنـــت، وكنت فاتح عينيك وبوقك على الآخـــر ورافع إيديك لفوق كأنك بتحمي نفســـك من حاجة هتقع عليك من السقف وعنيك بتنزف وبوقك عمال ينزل منه رغوة ورقبتك مليانة شوك مغروس فيها والنمل سارح على جسمك كله.

نادر: قوم معايا نبص عليها مرة تاني كدة.

دخلنا وفتحنا الدرج لقينا جثة تالتة لا أنا ولا أبويا!!

فاروق: هي دي الجثة إللي أنا إستلمتها.. هي دي وربنا!

نـــادر: إقفل عليها يا فاروق ويلاّ بينا نطلع برة أنا كدة خلاص مش محتاج حاجة تاني، هو طلب واحد هتشغلّي الكاميرات أشوف إللي حصل وهديك فلوسك وهمشي

فاروق: هشغلهالك وهروح أعمل كوبايتين شاي علشان بصراحة مش عايز أشوف حاجة تاني في المكان ده.

شغّل فاروق تسجيل الكاميرات وسابني ومشي وبدأت أتفرج على أغرب حاجة ممكن تتخيلوها!

البداية دخلت زي كل مرة حطيت الســـاعة والموبايل والمحفظة وملف الجثث على الأرض، إتوجهت مباشـــرة ناحية الدرج رقـــم ٥ وفتحته وإتعاد نفـــس إللي حصل بالضبط الفرق الوحيد إنه مكانش أبويا كان الشخص إللي الإسعاف جابته بس من الواضح إني كنت شايفه إنه أبويا ودار الحوار بيني وبينه، بقيت كل شوية أسيبه وألف في الأوضة وأرجعلـــه من تاني، أحياناً أقعد في الأرض، أحياناً أجري، أحياناً أشاور بإيديّا كأني في خناقة.

بعد شوية إنتهى الحوار بالكامل ولقيته بيفتح الدرج علشـــان يدخل جواه لكن ظهر من أحد الجوانب المظلمة في التلاجة الراجل العجوز! وشاور بإيده كأنه بيستدعي حد، الشـــخص إللي المفروض كنت شـــايفه أبويا خرج بمنتهى الهدوء من الدرج رقـــم ٥ وبدء يلف على كل درج من أدراج التلاجة يفتحهم ومع كل درج يفتحه كانت جثة بتقوم تقعد.

إللي من غير راس، إللـــي محروقة، إللي مخنوقة، إللي إتركنت فترة طويلة فملامحها بقت بشعة وغيرها كتير.

ومن داخل الأدراج كلهم بصوا ناحيتي وشـــاوروا عليّا وصرخوا، صرختهم كانت أشـــبه بزلـــزال ضرب المكان كلـــه وقعت من قوته على الأرض وبـــدأت الجثث تنط من الأدراج واحدة ورا التانية، هجموا عليّا وشالوني ورفعوني زي الدبيحة كانوا بيجـــروا بيّا في الأوضة وبيتباروا مين هيشـــيلني كأنهم شايلين ميت في نعشـــه ورايحين به لمثواه الأخير!

مكنتش محتاج أسمع لكن الصورة مترجمة أحسن من مليون صوت، فضلوا يشـــدوني من بعض لحد ما قطعوا هدومي بالكامل، حطوني في الأرض وسط دايرة معرفش إترسمت إمتى وقعدوا كلهم حوالين الدايرة، في الوقت ده أنا كنت فاقد الوعي لا بتحرك ولا بعمل أي حاجة، هما إللي كانوا بيعملـــوا، قاعدين في دايرة وعمالين يعملوا حركات منتظمة مصحوبة بحركة شـــفايفهم غالباً كانت تعويذة بيرددوها مع بعض ولازال الراجل العجوز واقف مبتســـم! ولكن ســـرعان ما تبدلت الإبتسامة لنظرة غضب شديدة و

إتلفت براسه لركن تاني من أركان التلاجة وركزت إكتشفت إن في شـــخص تاني موجود وهو ســـبب غضب الراجل العجوز مكنتش قادر أحدد ملامحه لأنه كان مختفي جوا الضلمة وبإشارة تانية من العجوز كل الجثث قامت وقفت وهجمت على الشـــخص التاني وكرروا نفس إللي عملوه معايا شـــالوه وبدؤا يلفوا بيه جوا التلاجة وكانت الصدمة إن الشخص ده طلع هالة!!!

في اللحظة دي أنا فوقت وقومت وقفت وجريت علشان أنقذها لكن الدايرة إللي حواليّا إتحولت لكتلة من النار أنا محبوس جواها، ولأول مرة من وقت طويل أشوفني بعيط علشـــان من جديد هالة هتضيع مني، الموضوع ما وقفش عند كدة دول حطوها في الدرج رقم ٥ وقفلوا عليها ورجعوا قعدوا حواليّا وبمجرد مـــا دايرتهم حواليّا إكتملت حصل أعجب مشهد، النار سابت الدايرة وراحت كأن حد بيسوقها ناحية الدرج رقم ٥ ومسكت فيه، بعد كدة الصورة ضلمت ومانورتش تاني وميقاش في حاجة أشوفها.

طلّعت من جيبي ٥٠٠ جنية حطيتهم على المكتب ومشيت من غير حتى ما أستنى فاروق يرجع، بصيت في ساعتي كانت ١٢ وربع بالليل.

إتوجهت للبيت قلعت لبس فاروق وخدت دش ووقفت قدام المراية أتفحص ملامح وشي، في حاجة غريبة أنا شكلي كدة بيفكرني بشكلي من خمس ست سنين فاتوا.

- فين الخُصل البيضا إللي بقالي مدة شايفها في شعري؟

- فين التجاعيد إللي ظهرت في وشي مع إني لسه صغير؟

- فين الناب المكسور إللي بقالي مدة عايز أروح للدكتور علشان يشوفله حل؟

معقول إللي أنا شايفه ده؟

هو أنا صغرت ولا بيتهيألي؟

هم الناس إللي عمرها إتقصف، عمرهم أنا أخدته فعلاً؟!

طب هي مين الناس دي أصلاً؟

لأ أنـــا محتاج أنام والصباح رباح بقـــى والنهار كفيل يكشف ستر كل حاجة مســـتخبية، بس قبل ما أنام عاوز أقولكم إن الموضـــوع مش على قد تغييـــر ملامحي، أنا حاسس بقوة وصحة دبت في جسمي ومش قادر أتجاهل ده.

وكالعادة إترميت على الســـرير وأنا مرتاح إني خلصت من حوار ليالي الأرواح الضالة ده.

الفصل السابع

(حـوارات عبثيـة)

نمت نوم تقيل متعب صحيت منه على صوت صرخات ستات كتير، قعدت في السرير بحاول أفوق وأستوعب ده كان حلم ولا حصل بجد، مفيش دقيقة والصرخات رجعت تاني لثواني وســـــكتت الصوت كان جاي من الصالة يعني من قريــــب، نزلت من على الســـــرير وخرجت من الأوضة أبص هنا وهناك أنا مش عــــارف بدوّر على إيه لكن عمال أبص يمكن أعرف سبب للصرخات ديه، رجعت الصرخات تاني لمدة ثانية أو إتنين وسكتت جريت ناحية الحمام لأن من واقع تجاربي ومتابعتكم لأفــــلام الرعب أكيد عارفين إن الحمـــــام مصدر ثري جداً للخــــوف والعفاريت، مديت إيدي وفتحت بــــاب الحمام بهدوء لقيته فاضي وأنا بخرج لفت نظري إن ورا ســـــتارة البانيو في ٣ أجسام واقفين ما بيتحركوش مش باين ملامحهم لأن الستارة شبه مُعتمة، قربت من الســــتارة بحذر ومسكت المسّاحة وخبطت بها على الستارة بيها مفيش حاجة إتحركت، حطيت المساحة على جنب ومديت إيدي فتحت الســـتارة بحذر شديد فإذا بي أجد ٣ فساتين مختلفة متعلقة على شماعات ونازلين من السقف معظمهم فيه أجزاء متقطعة وكأن إللي كانوا

لابسينهم قلعوهم بالإكراه!، إنطلقت الصرخات تاني سبت الحمام وخرجت بسرعة وكان مفيش غير مكان واحد لازم أبص فيه المكان، ده قدام باب الشـــقة وخصوصاً إني لما خرجت شوفت من تحت باب الشـــقة إضاءة ونور غريب جاي من برا غِير نور عتبة الباب إللي أنا أصلاً بطفيه قبل ما أنام.

كنت بقــدم رِجل ويأخر رِجل وأنا بقرّب من الباب بس علشـــان ده مش وقت تردد ومع أول صرخة إنطلقت وأنا قدام الباب فتحته بســـرعة شوفت قدامي حرفياً ساحة من ساحات جهنم.

نار في كل حتة، بيوت بتتحـــرق، بوابات ضخمة جداً بعضها مقفول وبعضها مفتوح، جبل عالي وناس واقفة عليه طوابير وبينطوا من عليه واحـــد ورا التاني، طيور ضخمة مشـــتعلة بتحلق في الســـما إللي مقدرش أقول عليها إنها الســـما لأنها كانت سودا سواد حالِك والسحاب مُشـــتعل، وقفت كأني قدام مشهد من مشاهد جهنم إللي طول عمري بتخيله بالشكل ده.

الصرخـــات دوّت من جديد وكانـــت جاية من ورا بوابة من البوابات المقفولة، إتكون قدامي طريق ممهد للبوابة دي، مشيت فيه وأول ما وقفت قدام البوابة لقيت مقبض، إستخدمته في إني أخبط على البوابة، فتحلي الباب نفس الراجل العجوز إللـــي ظهرلي (الدليل) من أول ما حصلت على الكتاب بنفس إبتســـامته وشاورلي بإيده إني أمشي وراه، رجعت أسمع من بعيد نفس الصوت بيقولي: كفاية كدة يا نادر إرجع وتوب قبل ما باب التوبة يقفل.

مـــش هقولكم إن الصوت مش غريـــب عليّا لأني كنت شـــاكك ودلوقتي إتأكدت يمكن كمان إنتوا دلوقتي بقيتوا شاكين، في الحقيقة مش صوت ضميري زي ما بعضكم يكونوا فاكرين ده صوت الشـــيخ لطفي إللي المفروض يكون بين الحياة والموت، ويمكن مات أساساً.

مشيت ورا الراجل الدليل لحد ما وصلنا عند شط بحيرة مليانة حمم بركانية وفي نص البحيرة نازل من الســـما ٣ جنازير غليظة وفي أخر كل جنزيرمتعلق واحدة ومحطوط على وشها كيس قماش أسود زي إللي بنشوفه في مشاهد الإعدام.

كانوا التلاتة مابيتحركوش، هل فاقدين الوعي ولا ماتوا؟

معرفش، ظهر فجأة مركب صغير بدأ يطوف حوالين ال٣ ستات وكان في شخص بيسوق بالمجدافين وجه تحت واحدة من التلاتة ووقف جنبها بالمركب فجأة السلسلة إللي متعلق فيها الست دي تحديداً فكت ونزلت البنت أو الست وغاصت في الحمم البركانية لمدة أقل من الثانية بعدها إترفعت تاني، مكانش جسمها محروق أو منتهي لأنها غاصت في حمم بركانية لكن كان أسود متفحم وأطلقت صرخة تاني زي إللي كنت بسمعها.

قام الشخص إللي في المركب بالتجديف وبقى تحتها بالضبط وهي متعلقة ولقيته كشف الغطا عن إناء كبير وبدأ جسم الست ينزل منه نقط جوا الإناء ده، وإتكرر الموضوع بنفس الطريقة مع الست التانية.

لفت نظري حاجة ما كنتش واخد بالي منها، أنا ركزت أوي مع ال ٣ ستات مع إن وشهم كان متغطي وما ركزتش مع الشخص إللي كان بيسوق المركب وبيجمع في الإناء

معاه الحاجات إللي بتنزل منهم، لكـــن بإلتقاته منه ليّا وإبتسامة خبيثة لقيت الشخص ده يبقى أنا! أيوة!!

الصورة كلهـــا وضحت قدامــــي واللغـــز إتحل ال ٣ المتعلقين دول إللي إتقصف عمرهم وإللي موجود طبعاً ده أنا وإللي بينزل منهم ده سمُوه عمرهم، سمُوه صحتهم، سمُوه حياتهم، وإللي أكد لي تفسيري ده إن الشخص إللي بيقود المركب (إللي هو المفروض أنا) رفع الإناء وبدأ يصب على نفسه منه، وجه الدور على الضحية التالتة وإتعمل معاها نفس إللي إتعمل مع الإتنين التانيين، الفرق الوحيد إنها أما جت تصرخ صرخت بإسمي بصوت خلع قلبي من ضلوعي، مع صرختها صحيت من النوم والكابوس إنتهى.

كانت الســـاعة ٧ إلا ربع الصبح، قومت جهزت هدومي ودخلت الحمام غسلت وشي بصيت في المراية لقيتني زي ما أنا ملامحي أصغر سناً ووجهي أكثر نضارة كأني عامل عمليـــة تجميل من إللي الفنانين بيعملوها من الشـــفط والشد والحاجات الحلوة دي.

وصلت الشـــغل ودخل مدبولي بكوباية الشاي ولسه هيقولي صباح الخير لقيته غيّر كلامه وقالي:

مدبولي: بسم الله ما شاء الله عيني عليك باردة

نادر: خير يامدبولي في إيه؟

مدبولي: إنت ما بصيتش في المراية النهاردة ولا إيه يا أستاذ نادر؟

نادر: عادي بصيت إيه الجديد يعني!

مدبولي: لا يا أستاذ نادر إنت ما شاء الله النهاردة وشك زي البدر في تمامه

نادر(ضاحكا): إنت بتعاكسني ولا إيه يامدبولي؟

مدبولي: ربنا يروّق بالك يا أســتاذ نــادر راحة البال بالدنيا وإللي فيها والله العظيم.

نادر: سبحان مغير الأحوال بقينا حبايب دلوقتي!

مدبولي: ربنا ما يكتب عليك إللي أنا شــوفته، الشاهد من كلامي يا أستاذ نادر إن طلتك الحلوة دي مطمناني إنك معملتش حاجة تغضب ربنا ومافتحتش الكتاب من أصله، أنا صح مش كدة؟!

نادر(مبتســما): و ليه ما يكونش الكتاب ياعم مدبولي هو السبب في إللي إنت شايفه دلوقتي؟!

مدبولي: ما أتمناش إن ده إللي يكون حصل!

نادر: إشمعنى؟

مدبولي: علشـــان الكتاب ده ما بيديش حاجة ببلاش هيديك حاجة هياخد قصادها عشـــرة وأديك شوفت إللي جرالي

نادر(ضاحكا): بهزر معاك أنا بس كنت عامل ماســك زبادي بالخيار قبل ما أنام شـــوفت الأستاذة أمينة شلباية بتعمله.

مدبولي: وده ينفع للي في ســـني يا أستاذ نادر؟ ده أنا عندي في البيت يجي ٢ كيلو خيار

نادر: أه ينفع طبعاً ما ينفعش ليه اعمل يا أخويا اعمل

مدبولي: آكل بقى الخيار الأول ولا الزبادي الأول؟

نادر: تاكل؟! بقولك إيه يـــا مدبولي كل إللي تاكله يلا سيبني بقى علشان أشوف ورايا إيه الله يخليك

مدبولي: طب عايز الحلاوة

نادر: حلاوة إن شـــكلي عاجبك يعني! ودي حلاوتها إيه إن شاء الله...ماكينة حلاقة!

مدبولي: لأ حلاوة ده يا أستاذ نادر

(وأخرج مدبولي من جيبه جواب جديد سلمه لنادر)...

نادر: لا كده تســـتاهل أحسن حلاوة ده إنت وش السعد كله ياعم مدبولي يا بتاع الخيار

- خَرَج عم مدبولي وفتحت الجواب علشان أقراه..

سلام عليكم أستاذ نادر أبو فودة.

أنا مش متأكدة الإسم صح كده ولا غلط

بس أنا لجأت لك بعد ما كل الأبواب إتقفلت في وشـــي، طول عمرنا بنقول إن الشــرطة في خدمة الشـــعب بس لجأت لهم ما عبروذيش وطردوني طردة الكلاب من القسم ومبقاش عندي غيـــرك، ولو طردتني إنت كمان ذنب موتي هيبقى في رقبتك.

(إتفتح باب المكتب بعنـــف ولقيت مدبولي إللي كان لسه بيتغزل فيّا دخل وقالب وشه وإتكلم بلهجة عمره ما كلمني بيها قبل كده..)

مدبولي: هو إيه الحكاية بالضبط؟

نادر(متعجبا): حكاية إيه يامدبولي؟

مدبولـــي: حكايتك إنت هو في حد عنده حكايات غيرك يا أفندي!

نادر: إتكلم عدل يا مدبولي إنت إتجننت ولا إيه؟

مدبولي: أنا إتجننت يوم ماسلمتك الكتاب ده بإيدي

نادر: ما تنطق ياراجل إنت في إيه؟

مدبولي: هو إيه حكايتك إنت وغُلا؟

نادر(مندهشاً): إيه التخريف إللي إنت بتقوله ده مفيش حاجة بيني وبين غُلا يا متخلف!

مدبولي: لا فـــي وحاجة كبيرة كمان والدليل شـــكلك النهاردة وشكلها هي كمان.

نادر: أنا مش فاهم حاجة من التخريف إللي بتقوله ده بطّل حزق وفهمني في إيه بالضبط يا مدبولي.

ما كملتش الحوار بيني وبين مدبولي علشان غُلا دخلت من باب المكتب ومن الواضح إنها جت على الصوت.

غُلا: أنا سامعة إسمي بيتقال هو في إيه؟

– أنا لساني وقف ومعرفتش أرد عليها وإتصدمت صدمة عمري غُلا كان وشها شاحب وفيه بعض الخُصل بيضا في شـــعرها وبعض التجاعيد البسيطة في وشها، بالمناسبة غُلا عندها ٢٤ سنة.

نادر(بتوتر): طب أقعدي يا غُلا بس وقوليلي مالك؟

غُلا: معرفش يا جماعة هو كل أما حد يقابلني يسألني نفس الســـؤال؟ أنا بقالي ٣ أيام تعبانة وروحت لأكتر من دكتور كلهم قالوا إن أنا ســـليمة جسمانياً وإن إللي عندي ده نفســـي، ألا ماتعرفش يا نادر ميـــن مضايقني وخلى نفسيتي كده؟!!

نادر: بس يا غُلا إنتي في خُصل بيضا في شعرك

غُلا: هو إنت فاكر إن أنا مابشـــوفهاش كل لحظة في المراية؟

نادر: حاسك واخدة الموضوع ببساطة

غُلا: على إعتبار إنه فارق معاك!

نادر: طب إنتي حاسه بإيه دلوقتي؟

غُلا: شـــوية إجهاد وهبقى كويسة لو الكل بطّل يقولي مالك

مدبولي: أما صحيح يقتل القتيل ويمشي في جنازته

عُلا: في إيه ياعم مدبولي بتتكلم مع نادر ليه كده؟!

مدبولي: علشان أنا وهو دافنينه سوا يابنتي

نادر: إنت لسه واقف هنا يا راجل إنت؟ إمشي إطلع بره.

مدبولـــي: هطلع بس خليك فاكر إن النار هتحرق الكل ومش هتسيب حد طول ما الزفت ده معاك.

خـــرج مدبولي وخرجـــت عُلا وإللي أنـــا لاحظت إنها بتمشي بصعوبة.

رميت الجواب ورفعت إيدي على المكتب ودفنت راسي بين إيديّا وغرقت في بحر مـــن التفكير إزاي عُلا الكتاب يعتبرها من أعدائي؟! أنا مش فاهم!

ولما دي أول ضحية أمال مين الإتنين التانيين؟

معرفش كملت اليوم ده في الشـــغل إزاي، عُلا حديث الجورنال اليوم ده لدرجة إنها ما إتحملتش نظرات الناس وقدّمت على أجازة ومشـــيت ومدبولـــي وأنا كنا بنتجنب نتقابل أو حتـــى عنينا تيجي في عنيـــن بعض صدفة، على أخر اليوم أخـــدت الجواب وروّحت البيت ووقفت في

نص الصالة أزعق وأطلب مـــن الراجل العجوز إنه يظهر أما دخلت أوضتي لقيته قاعد على الســـرير مبتسم نفس الإبتسامة المستفزة.

نادر: إنت مين؟

الدليـــل العجوز: متأخر أوي الســـؤال ده يا نادر، على العموم أنت مرشـــد الكتاب دوري أوجهك لتنفيذ مطالبك ومطالب الكتاب على حدٍ سواء.

نادر: مكنش الإتفاق إن غُلا تكون من الضحايا أبداً

الدليل العجوز: إنت ما حددتش أسماء على فكرة

نادر: إحنا إتفقنا يكونوا أعدائي

الدليل العجـــوز: إنت قولت ده لكـــن الكتاب هو إللي بيختار مش أنا

نادر: بس أنا قولتلك أعدائي أنا فاكر كويس كلامي

الدليل العجوز: وأنا ما أمنتـــش على كلامك، أنا كمان فاكر كلامي كويس

نادر: عاوز أعرف مين الإتنين التانيين؟!

الدليل العجوز: لو أعرف هقولك، أنا بعرف زيي زيك

نادر: طب لو عايزها ترجع شابة أعمل إيه؟ أنا مستغني عن الشباب والصحة إللي حصلت عليهم منها وبعدين أنا مش شايف غير تغيير بسيط في ملامحي

الدليل العجوز: هتكتشف النتيجة بمرور السنين وهتشكرني، وإن كان على غُلا هتتعود والكل هيتعود على شكلها ومش هتكبر أكتر من كده لأنها الأولى، التانية والتالتة....

نادر: وأنا مش موافق

الدليل العجوز: مش إختياري يا نادر إنت وقّعت العقد بدمك، ونصيحة مني بلاش الكتاب يغضب, علشان غضب الكتاب نار هتحرق كل حبايبك وهتحرق قلبك عليهم واحد ورا التاني صدقني

نادر: إنت بتهددني؟!

الدليل العجوز: أنا مرشد الكتاب ودوري أنوّرلك بصيرتك، كمّل الجواب إللي جالك النهاردة يا نادر إنت محتاجه جداً صدقني.

(عمالة تتعقد وأنا لســــه بقاوح وفاكر إني ملكت الدنيا
واللي فيها

جرى إيه يا نادر؟!

إيه إللي حصلك؟

جيت تثبت قوتك ضربت ناس ملهاش ذنب)

(آه وإيه يعني أنا من حقي أشوف نفسي، وبعدين مين
غُلا إللي مهتم بيها دي كمان، يكفيني إن الكل عمّال يقول
إني بقيت أكثر شباب ووسامة!

-مش ممكن ده إللي إنت بتدور عليه! وسامة إيه وزفت
إيه!

-زفت لما تبقى تاكله!

– كده مبسوط والكل عارف إنك إتغيرت

للأسوء؟!

-عادي أنا مبسوط كده بقولك

-كداب ومحتار جُواك صراع بين نادر القديم والجديد

-وأوعدك الجديد هيكسب المعركة)

-يعنـــي إنت مش فارق معاك إللي حصل للمســـكينة عُلا؟!

-حصل لها إيه يعني ياكش تتحرق!

-طـــب إبقى فكر بقى مين تانـــي هتقول عليه ياكش يتحرق هو كمان؟!

-أي حد عادي.

-متأكد؟

-أيوة متأكد

-والشيخ لطفي؟

-زمانه بيخلّص أو مات وارتاح

-وعمك مختار إللي كسرت بخاطره؟

-راجل تافه وكان لازم يفوق علشان يبطل أفورة

-وأختك؟

-عندها أمي

-وأمك؟

-عندها أختي

-وأهل قريتك؟

-مجرد حالات بستغلها في تحقيقاتي مش أكتر

-وزمايلك في الشغل؟

-شوية موظفين قلتهم أحسن!

-وهالة يا نادر؟

-وهو أنا كمان هعمل حساب لشبح واحدة ميتة؟!

-بس إنت بتحبها

-كنت، في فرق كبير! أديك قولت كنت..

-ولازلت على فكرة

-وبعدين هالة دي مجرد كارت أخير بستخدمه وبلجأ له لما السكك كلها بتتسد في وشي

-طب ونادر فودة؟

-ماله؟ بقى في أحسن حال ولسه هيعلى أكتر

-مش حاسس إنك قضيت عليه ودوست عليه؟!

-داس عليك قطـــر يبطظك..أنا ضميري إللي بتحاول تلاعبني به ده مرتاح و ١٠٠ فل وعشـــرة ولو جالي فرصة إني أعمل أكتر من كده أوعدك هعمل

-إنت الكتاب خلاص ســـيطر عليك ولحس مخك ويقى راكبك وسايقك زي الحمار!

-أقولك الحمار ده مين وماتزعلش؟

-إنت مش ممكن تكون ن.....

-اه مش ممكن أكون نادر هي جت عليك إنت كمان!

-على فكرة أنا وإنت واحد

-لأ طالما هتفضل ترازيني كل شوية نبقى مش واحد، وأحســـنلك تفارقني للأبد علشـــان عمرنا ما هنتفق أيها الضمير الحي الغبي!

خلاص أنا هغور

غورة لما تاخدك ماترجع أبـــداً يابعيد..أنا داخل أنام.. حل عني نامت عليك حيطة ماقومت!

(وإنتهى هذا الحـــوار العبثي مـــع عقلي وضميري بدخولي السرير وأنا مقتنع تمام الإقتناع إني على الطريق الصح.

وفي أول محطات نومي باب الشـــقة خبّط قومت من السرير وأنا متأكد إنه حلم من قبل ما يبدأ، أول ما فتحت الباب كمية مشاعر متضاربة لطشت فيّا!)

نادر: هالة؟!

هالة: كويس إنك فاكرني عرفتني!

نادر(مصدوما): أنا ماتوهـــش عنّك، بس إنتي إيه إللي عمل فيكي كدة؟!

هالـــة: فعلاً ماتعرفش؟؟؟ ولا مش حابب تســـمع إنت عملت فيّا إيه؟

نادر: هالة أنا مشوفتكيش من قد إيه؟

هالة: لأ شـــوفتني في التلاجة ووقفـــت تتفرج عليهم وهمّا بيولعوا فيّا، لأ وكمان ما إكتفيتش بده.

نادر: تقصدي إيه؟

هالة: أقصد إللي إنت شـــايفه، هو إنت فاكر علشان أنا طيف ولا شـــبح زي ما إنت قولت عليّا من شـــوية، كِتابك الملعون ده مش هيضرني؟، شوف يا نادر وملّي عينك مني بعد ما روحي عجزت سنين بسبك.

نادر: أنا ماعملتلكيش حاجـــــة إنتي جاية ترمي بلاكي عليّا!

هالة: أنا مش مسامحاك يا نادر

نادر: إنشالله عنك ما سامحتيني، أنا ماقولتش للكتاب يختارك إنتي ولا الحلوة التانية

هالة: وياترى ده هيبقـــــى نفس كلامك لما تعرف مين الحلوة التالتة؟!

نادر: الحقيقة كلكم زي بعـــــض والحقيقة الأهم إللي توصلت لها في النهاية إن أهم حـــــــد عندي هو نادر فودة فقط

هالة: هو أنا في الحقيقة مش مستغرباك، إللي يموّت أبويا ممكن يعمل أي حاجة تانية علشان نفسه (لتفاصيل أكثر يرجى العودة لرواية النقش الملعون).

نادر: قولتلك مليون مرة ما قتلتهوش، بس طالما إنتي الموضوع على هواكي إعتبريني قتلته، أنا لو مكانك وأعرف إن البنـــــي آدم إللي بحبه وبجري وراه له يد في موت أبويا أنا ممكن أقتله.

هالة(ساخرة): بحبك؟ ويجري وراك؟ أنا مش عارفة إنت جايب الثقة والغرور البشع ده منين؟

نادر(بخبث): إيه مش دي الحقيقة؟

هالة: لا أنا هقولك الحقيقة إللي عمرك ما سمعتها، إنت يا نادر بالنسبالي قبل ما أموت كنت بالنسبالي صحفي ناشئ إستغليته كويس علشان أوصل للي أنا عوزاه، وبعد موتي ورجوعي إنت بالنسبالي شخص بائس وحرفياً أي كلب معدّي بينهش فيك.

إوعى يا نادر تكون مصدق فقاعة نجاحك الوهمية، عاوزاك تفتكر كل مرة لحقتك فيها قبل ما تروح فطيس وتخرج تكتب وتقول للناس أنا نادر فودة الصحفي وهاتك يا كدب!

نادر(صارخاً): إنتي إتجننتي؟! أنا محدش له فضل عليّا، مبقاش إلا الميتيين كمان هيقيموني، مش عايز أشوف خلقتك تاني إنسي إسمي وإمحيه من ذاكرتك للأبد..

هالة: من ناحية أنساك فأنا فعلاً نسيتك أما بخصوص إنك ماتشوفش خلقتي تاني فالأسف فاضلنا مرة كمان وبعدها فعلاً هختفي للأبد

نادر: هو إنتي لزقة! مش عايز أتنا المرة الأخيرة دي!

هالة: معلش هي قربت جداً يمكن بعدها تعرف إن كان لازم نتقابل للمرة الأخيرة دي.

نادر(ساخراً): تصدقي إنك تستاهلي إللي حصلك، أول مرة أشوف ميتيين بيعجزوا، مُضحكة الحكاية جداً.

هالة(باكية): وأنا كان مين السبب في إللي وصلتله ده؟!

نادر: بقولك إيه فكك من جو الصعبانيات ده وإمشـــي يلاً علشان عايز أصحى من النوم.

****

الفصل الثامن

(غضبة الموتى)

(وإنتهى الحلم وإنتهـــى لقائي بهالة مُعلناً بداية يوم جديد وأنا بيغمرني شـــعور فظيـــع بالإنتصار ولقيتني بسأل نفسي هو إللي عملته ده؟ هو أنا ليه عاملتها كأنها ألدّ أعدائي؟)

جت الإجابة على طول على لساني: دي بتعاير ومصدقة نفسها إن لها أي فضل عليّا مش كفاية إني راضي بعلاقة غريبـــة زي دي، وكل أما أفكر أرتبط بـــأي واحدة أرفض علشان كنت بحبها، على العموم هي جت منها والرابط ده إتكسر وإرتحت منه للأبد.

(مابقيتش طايق نفسي ولا طايق الدنيا كلها المكتب، البيت كله محصل بعضه مفيش جديد مفيش تغيير نفس الناس نفس الورق نفس شـــرايط الكاسيت العتيقة نفس الاقلام نفس البني أدم إللي عايش طول عمره في معاناة.)

لبست هدومي وروحت الشغل وأول ما دخلت المكتب ولسه هشـــوف ورايا إيه لقيت الباب بيخبط وطبعاً إنتوا عارفين مين، مفيش غيره مدبولي أفندي كان داخل ووراه واحدة ست.

نادر: خير يامدبولي؟

مدبولي: أنا أسف يا أســـتاذ نادر بس الست دي واقفة بتعيط وعايزة تقابلك ضروري

نادر: إتفضلي ياست أقعدي

الست: يارب تعيش

وإنفجرت الست في العياط والنحيب وقالتلي:

الست: أبوس إيديك ساعدني

نادر: مين حضرتك، إتفضل إنت يامدبولي شوف شغلك

الست: أنا إسمي جليلة وبشتغل مغسّلة

نادر: خير يا ست جليلة؟

جليلة: مفيش غيرك إللي ينفع أحكيله ده حتى الشرطة ما صدقونيش، أجيب مين يا ناس يصدقني، أنا عايزة أكفرّ عن ذنوبي أبوس رجلك.

كلامهـــا وإلحاحها كان غريب وخلاني أفكر لوهلة إني أسمعها هيحصل إيه يعني.

نادر: إتفضلي ياست جليلة

جليلة: زي ما قولتلك أنا بشتغل مغسّلة أموات أو كنت بشتغل لكني توبت والله العظيم

نادر: وطبعاً إنتي ماكونتيش بتغسّلي بس؟ إنتي كنتي بتعملي مصيبة مع غُســل الميتييـــن وجاية تتوبي هنا عندي!

جليلة: أنا بشتغل مغسّــلة من ٣٠ سنة منهم ٢٠ سنة عملت فيهم إللي ما يتعمل، كنت وأنا عيّلة صغيرة بشوف أمي وهي بتغسّل فورثت الشغلانة منها.

وفي مـــرة لقيت أمي بعد ما خلصت غُســل شــالت الصابونة إللي كانت بتغسّــل بيها وخبتها، فبقولها إنتي خبيتي الصابونة ليه يامّا؟

بصت لي يا أســتاذ نادر بصة عمري ما نسيتها طول حياتي وده خلاني ما أسألهاش أبداً عن أي حاجة بعد كدة مهما حصل ومها شوفت ومهما هي عملت بفضل ساكتة، تقدر تقول زي الخرسا، فضلت سنين على الحال ده لحد ما أمي قررت تديني خبايا ومصايب الشــغلانة ولأول مرة تكشف السر!

-كنا بنغسّــل واحدة أنا وهي وبنات الســت المتوفية الإتنين

ولقيت أمي بتقولهم أنا ميّة الغُسل دي تلزمني تبيعوها بكام؟

-ردوا البنات ميّة إيه إللي نبيعها إنتي إتجننتي يا ولية إنتي؟

أم جليلة: عشر ألاف كويس؟

-لاحظ إن عشـــــر ألاف في الوقت ده يجي مليون جنية دلوقتي!

-البنات من الصدمة ما نطقوش

أم جليلة: طب أنا هدفعلكوا عشرين ألف جنية، وبعدين هي مش هتتأذي في حاجة أمكوا ماتت وشبعت موت

طلعت أمي كيس أسود من شنطتها وخرجت الفلوس وإدتها للبنتين إللي ما إترددوش لحظة وخدوا الفلوس.

-أمي شالت الطشت إللي فيه ميّة الغُسل وطلبت منهم چراكن بلاســــتيك وفضّت الميّة فيهم، البنات نسيوا أمهم الميتة وقعدوا يعدوا الفلوس وأنا هتجنن أمي هتعمل إيه بالچراكن ديه!!

رجعنا البيت ومعانا چراكن الميّة شـــايلاها على قلبي طول السكة، أمي دخلت خبتهم في مكان (كانت أول مرة بردو توريهولي).

ليلتها يا أستاذ نادر الكل نام وأنا فضلت صاحية على ســـريري هتجذن من عمايل أمي، زمـــان تخبي الصابونة والنهاردة تشـــتري ميّة الغُسل بعشرين ألف جنية ومش لاقية إجابة!!

قومت من على ســـريري بدل مـــا أتجذن ووقفت قدام چراكن الميّة (كنت بكلمهم زي المجذونة وبقول هتهبب بيكوا إيه؟)

فجأة قلبي إتقبض وأعصابي سابت ورجليا مابقيتش شـــايلاني وإنعزلت عن الدنيا كلها، وســـمعت صوت جوا نافوخي لوحدة ســـت بتعيط وبتقولي: أمك أذتني وبناتي ساعدوها، إرمي الميّة وإرحميني أرجوكي.

جريت دخلت أوضتي وإســـتخبيت تحت البطانية زي العيال الصغيرة وجســـمي كله بيترعش والصوت لســـه سمعاه في وداني بيقول:

أمك أذتنــــي وبناتي ســـاعدوها، إرمي ميّة الغُســـل وإرحميني.

تصدق إن أنا من الرعب نمت؟

تاني يوم لما صحيت خوفت أحكي لأمي أي حاجة بس هي قالتلي:

-أم جليلة: بت يا جليلة هتاخـــدي ٣ چراكن من بتوع إمبارح وتروحي على أول الشارع عند محل عمك أبو محرم البقال تديهمله وهيديكي كيسة سمرا على الله تفتحيها تجيبيها وتيجي طوّالي.

خدت الچراكن وروحت عملت إللي قالتلي عليه فيما عدا حاجة واحدة بس ماقدرتش أمنع فضولي وفتحت الكيس الأسمر لقيت فيه فلوس ضعف إللي أمي إدتهم للبنتين.

روّحت البيت أمي طلعت ٥٠ جنية وإدتهملي وقالتلي:

أم جليلة: أنا عارفة أنك فتحتي الكيس خدي دول شبرقي نفسك بيهم بس إنتي عارفة لو ماكذتيش فتحتي الشنطة ماكنتش همدلك حاجة إنتي كدة بنت أمك بصحيح

أمك يا جليلة كبـــرت ومبقاش فيّا حيل للتنطيط وإني كل شوية أشـــوفلي عفريتين تلاتة، أينعم أنا مش بخاف بس تعبت وإنتي يابت لسه بصحتك وتقدري تبقي أحسن مني.

جليلة: حاضر يامّا، عايزاني أعمل إيه؟

أم جليلة: هاخدك معايا دلوقتي، عندنا غُســل جديد، المطلوب منك تركزي في إللي هعمله.

دخلت أمي أوضتها، ورجعت ومعاها ورقة على شـــكل مثلث صغير متطبق مربوطة بخيط أسود ناشف وريحتها عاملة زي الخشـــب المحروق ريحة تخنق كدة، وإدتهالي وقالتلي:

أم جليلة: ركزي كويس في إللي هقولهولك:

وإحنا بنقفـــل الكفن هتعملي إنك بتســـاعديني وأنا هغطـــي عليكي، وقبـــل لفة الكفن الأخيـــرة على الميتة هتحطي الحجاب ده في الكفن، فهمتي حاجة؟؟

هزيت دماغي يا أســـتاذ نادر إني فاهمة كنت مرعوبة منها من نظراتها ومن طريقـــة كلامها وصوتها، وعرفت

وقتهـــا أبويا طفش منها ليه ولو كنت قولتلها مش فاهمة كان ممكن تسخطني قرد ولا حاجة.

شِـــلت الحجاب في هدومي وروحنا للمكان إللي فيه الميتة إللي هنغسلها، ورب العزة الست الميتة كان شكلها مرعوب وكأنها بتتوسل ليّا إني معملش المصيبة دي، لكن ما باليد حيلة مكنتش أقدر أخالـــف أوامر أمي، لو أقولك إني حسيت إن الســـت الميتة بصتلي بعنيها طبعاً مش هتصدقني، أنا توهت من الدنيا وقتها ولقيت الميتة قامت قعدت ومســـكت جيبي وطلعت منه الحجاب وبمجرد ما مسكته ولعّ، جيت أصرخ حطته في بوقي وهو مولع!

وصرخت فيّا: هتتحرقي في نار جهنم يا جليلة.

فوقت على صوت أمي وهي بتقول للســـت إللي كانت واقفة معانا: والنبي ياختي هاتيلنا كيس قطن من عندكوا أصل القطن إللي معانا خلص.

خرجت الست تجيب القطن، قامت أمي مزعقة فيّا..

أم جليلة: أنا غطيت عليكي يجي ٥ مرات علشان ترمي العمل وإنتي البعيدة ولا هنا!

جليلة: عمل إيه؟ أنا مش فاهمة حاجة؟

أم جليلة: الحجاب..الحجاب ناوليهولي يا زفتة.

خدته منـــي أمي وبين طبقتين مـــن الكفن عند بطن الميتة حطته ولفت عليه الكفن من جديد.

-رجعت الســـت ومعاها القطن أمـــي قالتلها: خلاص ياحبيبتي أنا لقيت كيس القطن بتاعي.

الست إللي أنا عرفت إنها أخت المتوفية ماخدتش بالها من حاجة.

أمي قالتلها: تبيعي ميّة الغُسل؟

الســـت رقعت بالصوت، وإتطردت أنا وأمي يومها من البيت شر طردة..

-(أنا كنت شغلت التسجيل وسجلت لجليلة معظم إللي قالته، الوش الأولاني من الشريط خلص)

نادر: تشـــربي إيه ياســـت جليلة معلش أنا أسف ما سألتكيش تشربي إيه من أول ما قعدتي

جليلة: ولا حاجة أنا عايزة أزيـــح الهم إللي على قلبي بس.

قومت فتحت الباب وناديت على مدبولي وقولتله إعمل كوباية ليمون، وإســـتأذنت من جليلة إني هرجعلها على ماتكون شربت العصير

خرجت وقفت فـــي بلكونتي المفضلـــة في المكتب وسرحت مع الناس إللي رايحة وإللي جاية، كل واحد ماشي بهمومه وحكاياته وأحلامه وطموحاته وأنا زي أي حد من دول من حقي أكبر وأوصل للمكان إللي أستاهله ولو بأي طريقة يمين بقى شـــمال مش فارقـــة، والفرصة جاتلي لحد عندي ولازم أســـتغلها لا تقولي قصص وتحقيقات ولا سفر ومرمطة في المحافظات، ولا ناس تتعامل معايا إني صحفي مبتدئ، ولا ناس جهّلة يؤذوني بكلامهم حتى ولو من غير قصد، دي فرصة وجاتلي من السما فرصة ما بتجيش في العمر غير مرة واحدة ولو ما إســـتغليتهاش أبقى ما أفرقش عن الجهّلة دول في حاجة.

-دخلت من البلكونة دوغري على جليلة.

نادر: أنا قررت أســـاعدك ومن غير أي مقابل ومتحكي وتتوبي كأنك ما عملتيش أي حاجة خالص وقلبك وضميرك يرتاحوا على الأخر ياستي.

جليلة: بجد والنبي؟

نادر: طبعاً.. إنتي إخترتي الشـــخص الصح، بس أنا ليّا شرط

جليلة: أؤمرني أمر

نادر: بعد مـــا تخلصي عايز أشـــوف كل حاجة على الطبيعة

جليلة: إزاي بس، أنا عايزة أبعد عن الطريق ده خالص، وبعدين أنا بقالي مدة ما بغسّلش والمصحف.

نادر(بخبث): وماله ترجعي تاني علشاني.

جليلة: يا أستاذ نادر في حاجة فايتاك أنا مغسّلة نسوان يعني مستحيل تدخل معايا وأنا بغسّل ده أهل الميتة كانوا موتوني وموتوك جنبها!

نادر(ضاحكا): ياست الكل أنا عارف وفاهم إنك مغسّلة نسوان زي ما بتقولي، بس واحدة زيك خبرة ٣٠ سنة منهم

٢٠ سنة في الشـــغل الأزرق أكيد لها معارف كتير رجالة وبيغسّلوا رجالة

جليلة: أه طبعاً أعرف مغسّـــلين رجالة وتُربيّة كمان وحانوتية.

نادر: بس تاهت ولقيناها هتعرفيني على مغسّل راجل بيشتغل في البلا الأزرق إللي إنتي كنتي بتشتغلي فيه ده

جليلة: أه..فهمت إذا كان كدة ماشي

نادر: كملي بقى باقي الحكاية وأنا هقلب الشريط بتاع التسجيل علشان أسجل كل كلامك.

جليلة: لما رجعت مع أمي البيت خدتنيِ معاها أوضتها وقالتلي:

أم جليلة: بصي ياجليلة شغلانة المغسّلة دي شغلانة واحدة بتريـــح الناس مـــش الميتين بـــس لأ..الميتيين والعايشين كمان، بنغسّل الميتة من دول ونعطرها ونلفها في توب أبيض في أبيض ونجهزها لنومتها الأخيرة، وفي نفس الوقت تخيلي لو سيبناها وسط أهلها!

شـــوفي برغم الحزن إللي بيبقوا فيه لكنهم أول ناس بيوصلوها لباب التربة، وإحنا بقى بناخد حسنِتنا

جليلة: بس أنا مش فاهمة موضوع الچراكن والصابونة ياممّا.

أم جليلة: مع كل ميت في راحة لواحد حي، يعني فلان يموت فلانة تخلّف، فلانة تموت فلان يتجوز

جليلة: مش فاهمة بردو.

أم جليلة: يابنتي إفهمي إحنا بنساعد العايشين بأطر الميتين، هيبقـــى معاكي فلوس كتيـــر والكل هيطلبك، أنا بقالي في الشغلانة دي ســـنين، كمّلي من بعدي بس إتحملي لأن غضبة الميتين وحشة أوي.

جليلة: أنا خايفة ياممّا بس هعمل بوصيتك

أم جليلة: أنا لســـه ما وصيتكيش، وصيتي ليكي لما أموت محدش يحضر غُسلي غيرك، والليفة والصابونة إللي هتغسّليني بيهم إحرقيهم والميّة بتاعة الغُسل إرميها في جنينة البيت، إوعي حد يسهّيكي وياخدها ومش هوصيكي

إوعي تضعفي لأي ســـبب وتحطي معايا عمل لو عرضوا عليكي مال قارون يا جليلة.

جليلة: يعني الميت بيتأذي يامّا؟

أم جليلة: خلاص يابت اســكتي ما تتعبيش أعصابي أكتر ماهي تعبانة

جليلة: طب ما بلاها ياما الشغلانة دي خالص

أم جليلة: إنتي إتأخرتي أوي يابنتي في الطلب ده.

ومن اليوم ده إتعلمـــت كل حاجة منها وبقيت التلميذ إللي غلب أستاذه عرّفتني على ناس كتير.

عرّفتني يعني إيه عمل بميّة الغُسل.

عرّفتني يعني إيه سحر الأكفان.

عرّفتني يعني إيه عمل على أسنان المشط إللي سرحنا به للميت.

وكل مرة كنت بزداد قوة وجبروت، لكن خليني أحكيلك عن حاجة عمري بنساها أبداً. فضلت عايشة في كوابيس أكتر من سنة بسببها ومش بس كوابيس دي حقايق كمان.

روحنا نغسّل واحدة ميتة وكانت ست وحدانية عايشة في أوضة فوق السطوح لوحدها وأهل الخير إللي طلبونا نغسّلها، لا عندها عيال ولا حد يسأل عليها، كنت أنا وأمي إللي بنغسّلها لوحدنا لا في قرايب ولا جيران ولا حد يقف معانا على الغُسل ، أمي قالتلي:

أم جليلة: الست دي كنز يابت ياجليلة هناخد كل حاجة غسّلناها بيها والميّة كمان مش هنسيب حاجة.

بس أمي حطت في الكفن خُصلة شــــعر كانت معاها وجيت أسألها عنها برّقت لي فسكتّ.

أم جليلة: خُصلة الشعر دي بتاعة واحدة بطنها ناشفة بور.

جليلة: يعني إيه يا أمي بطنها ناشفة، خاسة يعني؟

أم جليلة: خاسة إيه وهباب إيه؟ بطنها ناشفة يعني ما بتخلفش، إحنا هنساعدها إنها تخلف وزي ما إنتي شايفة الميتة ملهاش حد وأهي إرتاحت وهتريح غيرها.

-خلصنا وأنا خدت الحاجة وديتها البيت وطلعت على الجمعية الشـــرعية أعرفهم إننا خلصنا الغُســـل علشان المفروض إنهم هيدفنوها في مقابر الصدقة.

عدى اليوم وجه الليل وياريته ما كان جه، نفس الهمس ونفس العياط والبكاء والصوت إللـــي بينادي عليّا، دمي نشـــف في عروقي وكِملِت لما سمعت صوت خطوات حد في الصالة، بصيت وأنا في الأوضة على الصالة.

قسماً بالله لقيت الست الميتة واقفة في الصالة وعنيها بينزل منها دموع من دم ووشها أزرق منفوخ، إتشليت في مكاني بحاول أصرخ مش عارفة صوتي مش راضي يطلع، دموعها كانت كتير لدرجة إن الدم بينزل في الأرض ووشها كان بيزرق أكتر كل شوية.

وإتكلمت بصوت جاي من قلـــب جهنم: إنتي أذيتيني ليييييييه؟!!!!!

في لمحة لقيتها قدامي في الأوضة وشـــها في وشي، وفتحت بوقها وصرخت ومع صرختها جسمي كله إتكهرب وصوت صرختها إمتزج بصوت صرخة تانية جاية من برة، كانت أمي إللي بتصرخ، معرفش خرجت من الموقف إللي

أنا فيه ده إزاي، طلعت أجري على أوضة أمي لقيتها قاعدة على السـرير ومبرقة عينيها وفاتحـة بوقها على الآخر بتحاول تتنفس لكنها مش قـادرة وكانت خلاص بتلفظ أنفاسـها الأخيرة، فضلت أهز فيها ومش عارفة أعمل إيه، صوت صراخي لمّ الجيران إللي خدوها على أقرب مستشفى وإتلحقت قبل ما تموت.

كلام الدكاترة أن أمي جالها إختناق بدون سبب وأصيبت بإنهيار عصبي حاد زي مايكون كان قلبها حاسـس لما قالتلي إنها مبقتش متحملة غضبة الموتى.

فضلت أمـي يومين في المستشـفي بس محصلش فيهم حاجة تانية عدوا بسلام، أنا قولت كدة خلاص مجرد كابوس وراح لحاله، لكن لما أمي رجعت البيت حصل نفس الموقـف تاني، صوت بينادي عليّا جاي من الحمام الفرق إن المرادي مكنتش متكتفة ومشـيت ورا مصدر الصوت وياريتني ماروحت.

الصوت من جوا الحمام بيقول: أذيتوني! إنتم شياطين إنتي وأمك، مش هسيب حقي.

إتفتح الباب بالراحة لوحده، صوت الباب وهو بيتفتح خلى قلبي شبه هيقف من الرعب، لمبة الحمام نوّرت لوحدها ولقيت الست واقفة في الحمام قصاد مني وبتغسل إيدها في الحوض بنفس الصابونة إللي بنستخدمها في الغُسل، هي هي الصابونة إللي غسلناها بيها، وبعزم ما فيها حدفتني بالصابونة في وشي، خبطة الصابونة في خلقتي كان ألمها كأنها ضربتني بطوبة، حتى بص يا أستاذ نادر شوف الجرح إللي في حواجبي، هو يمكن مش باين دلوقتي، لكن وقتها كان صعب جداً، مع خبطة الصابونة في دماغي أنا دوخت ووقعت في الأرض، وعلى ما بدأت أفوق لقيتني واقعة جنب السرير في الأرض وأمي بتحاول تفوقني وهي مخضوضة عليّا موت.

أم جليلة: مالك يابت، إيه الدم إللي عمال يشلب منك ده؟

جليلة: معرفش ياما في إيه؟

أم جليلة: أنا جبت البن علشان أكبسلك بيه الدم اتعدلي كدة، ويلا قومي لازم نروح المستشفى يدولك مضاد برشام ولا حاجة.

خدتني وروحنا المستشـــفى فعـــلاً وخيطت ٧ غرز أنا كنت فـــي دنيا تانية وأمي نازل عليها ســـهم الله وما بتتكلمش دي حتى ما سألتنيش إيه حصلك.

لما بدأت أفوق شـــوفت حاجة غريبة جداً يا أستاذ نادر أمي كبرت يجي ٢٠ ســـنة وشـــها إتملى تجاعيد، عينها جحظت لبرة، لونها بقى شاحب جداً لدرجة إن أنا سألتها هو أنا غبت عن الوعي ٢٠ سنة ولا إيه ياما؟

ومن يومها يا أستاذ نادر أمي فضلت قاعدة في أوضتها ما بتخرجش وبقيت أنا إللي بروح أغسّـــل وللعلم الناس بدءوا يقلوا في طلبنا علشـــان مـــش مقتنعين بيّا، كنت بدخلها كل يوم أقولها الناس هتنســـانا ولا كأني بقولها حاجة، على طول باصة في السقف وما بتردش.

أمـــا أنـــا فالكوابيس مـــا رحمتنيش، الســـت الميتة بتطاردني ليل ونهار، أنام تظهرلي أصحى تظهرلي، أنزل الســـوق أشوفها واقفة ومخبية وشـــها ورا شال، ده حتى المرات القليلة إللي روحت غسّلت فيها لقيتها واقفة جنب الميتة، وفي مرة حصل موقف عمري ما أنســـاه: طلبوني

أغسّل ست كبيرة، دخلت عليها الأوضة لقيتهم مغطيينها كلها بكوفرتة، كشفت وشها لقيتها الست إللي بتطلعلي ومبرقـــة عنيها وقامت مصوتة في وشـــي، فضلت أصوّت الستات إللي كانوا واقفين معايا إترعبوا وسابوني وجريوا بما فيهم بنات الست دي.

ما بقيتش أطيق أروح أي غُســـل وكملِـــت لما دخلت على ســـت ميتة وأختها كانت واقفة جنبي وإتكرر نفس الموضوع الميتة إتحولت للســـت إللي بتطاردني وقامت قعدت ومسكت في رقبتي وفضلت تخنق فيّا لحد ما وقعت من طولـــي، ولما فوقت لقيت أخت الميتـــة بتقولي إنتي مجنونة إنتي كنتي واقفة تخنقي أختي الميتة يا مخبولة!!

يومها يا أستاذ نادر ما غسلّتهاش وجريت على البيت ودخلت على أمي أحكيلها وهي مابتردش عليّا ولا بتنطق كأني بكلم صنم أو تمثال، كانت جثة بتتنفس قدامي.

فضلت على الحال ده معاها يا أستاذ نادر أكتر من سنة، بأكلها بالعافية وهي ممتنعة تماماً عن التعامل معايا أو حتى الكلام، وأنا بدأت أتعرف وأنزل وأكمل إللي أمي بدأته، لحد ما في ليلة تانية عمري ما بنســـاها، سمعتها بتعمل

صوت غريب أوي صوت بنقول عليه حشرجة الموت جريت على أوضتهـــا لقيت باب الأوضة بيتفتـــح قبل ما أوصله وخارج من الأوضة الســـت إللـــي بتطاردني بس المرة دي شـــكلها كان متغير عن كل مرة كانت مبتســـمة وفرحانة ووشـــها أبيض زي البدر في ليلة تمامه، عدت من جنبي وأنا جريت على الأوضة أشوف أمي لقيتها ماتت!!!

كانت نايمة على ضهرها ووشـــها أزرق، عنيها مبرقة جامد وبوقهـــا مفتوح على الأخر وعضـــم خدودها بارز بشكل مخيف ورغاوي عمالة تنزل من بوقها وشعرها كله ناحل والمخدة محروقة والســـرير كله نمل بيجري على جسم أمي.

وقفت زي التمثال مش عارفة أعمل أي حاجة، فين وفين علـــى ما فوقت عمّالة أصوّت لحد ما الجيران إتكلموا وكان مطلوب مني أصعب مهمة في حياتي إن أنا أغسلّها!!

تاني يوم الصبح جت مغسّـــلة تانية تطوعت علشان تســـاعد وصممت تقف معايا على غُسل أمي، بس قبلها كنت غيّرت ملاية السرير وكيس المخدة ورشيت جثة أمي بيروسول ونضفتها من النمل.

لقيتها خرجت شنطة سودا مليانة فلوس كتير وقالتلي: يا جليلة الحي أبقى من الميت يابنتي أمك خدمت الكل ولازم نخدمها.

معرفش يا أستاذ نادر إيه إللي حصل ساعتها نسيت وصية أمي ليّا وخدت الفلوس من الست ولقيتني بقول فعلاً أمي ريحت الأموت والأحياء ولازم أكمل إللي بنعمله زي ما أمي طلبت.

لقيت المغسّلة بتديني صورة لواحدة ومتشخبط على وشها بقلم ألوان فلوماستر وبتقولي سلّمي الأمانة يا جليلة، ماكنتش محتاجة شرح علشان أفهم إيه المطلوب مني أعمله.

نادر: إنتي حطيتي الصورة في الكفن؟!!! ياقادرة!

جليلة: أيوة ومن يومها بدأت أشق طريقي الخاص بيّا وقررت إني همشي بالمبدأ إللي أمي علمتهولي إن الحي أبقى من الميت وإن الضرورات تبيح المحظورات وبقى إسم جليلة المغسّلة الكل بيعمله مليون حساب وكسبت قد إللي أمي كسبته مليون مرة.

-خلص الوش التاني من الشـــريط وأســتأذنت جليلة تريح شوية عقبال ما أجهز شريط تاني.

جبت شريط جديد عشان أسجل باقي حكاية جليلة.

بـــاب المكتب خبط ودخل حد مـــن زمايلي: إنت مش مروح ولا إيه يا نادر؟

نادر: لا مش مروح، إنت حد عينك وصي عليّا ولا حاجة؟

زميلي: يا عم مش القصد، أنا قولت بس ..

نادر: لا ماتقولش بس، أنا قاعد شوية، روح شوف شغلك إنت ولا مصلحتك وحلّ عن أهلي .

خرج وقفل الباب، بصيت للست جليلة وقولتلها:

نادر: معلش أصل في ناس كدة يا ست جليلة، لو سبتي لهم فرصة يصاحبوكي العشـــم بيموتهم، وأنا ما أكرهش في حياتي قد العشـــم، بيفتح أبواب لحاجات كتير الواحد في غنى عنها، وأديكي شـــايفة التطفل، ده كده ومن غير عشـــم بينا، تخيلي بقى لو كان في بينا عشم أصلاً، كان هيعمل إيه؟

جليلة(كملت متجاهلة الرد على نادر): أنا نسيت حكاية أمي دي خالص يا أستاذ نادر وبقيت أشتغل لوحدي ورميت الماضي كله ورا ضهري بفقـــره وذله وقرفه، البعبع إللي كان مكتفني ومتحكم في حياتي خلاص ماتت وشـــبعت موت الخوف، إنتهى بموت أمي.

خدت إخواتي إللي أصغر مني وعزّلنا بعد ما لقينا أمي مخبية في الكنبة مليون جنية!!! إنت متخيل؟!!

مليون جنية وإحنا كان بيعدي علينا أيام بننام من غير عشا!

مبقاش فارق معايا حاجة، المهم الفلوس، كله بحسابه هنفذ أي طلب بس كله بحسابه.

عدى الزمن وجوزت إخواتي وسافروا الإتنين الخليج مع اجوازهم وأنا حياتي بقت شغل وبس.

نســـيت أحكيلك على حاجة صحيح في واحدة إسمها نبوية بيقولوا عليها شيخة من إللي بتعمل أعمال وحجاب وخلافه وقفتني في الشارع وقالتلي:

نبوية: ما تيجي يابت ياجليلة نشتغل سوا

جليلة: ما إحنا بنشتغل سوا وكل إللي بعمله بديهولك

نبويـــــة: لا المرادي الموضوع مختلــــف، هنروح تربة،
الميتة لسه فيها طازة نرمي على الجثة ميّة الغُسل ونمشي

جليلة: ماتعملي ده وأنا مالي يا أختي؟

نبويـــــة: بصراحة أنا أول مرة أعمـــــل الموضوع ده وأنا قلقانة وعلى فكرة الموضوع فيه مصلحة حلوة

جليلة: إزاي يعني هننزل التربة؟

نبوية: هقولك.. بعد ما تغسّلي الميتة تروحي معاهم المقابر وتخترعي أي حاجة تخليكي تنزلي التربة معاها ولا أقولك شوفي ميتة مدفونة في مقابر الصدقة لا ليها أم ولا إبن ولا أب يسألوا عليها لا عيّل ولا تيّل.

جليلة: ده إنتي شـــــيطانة، أنا هروح أغسّل واحدة لسه متبلغة بها في دار مســــنين وملهاش حــــد وهتتدفن في مقابر الجمعية الشــــرعية، والترب دي لا ليها حارس ولا ليها حانوتي، الناس بتوع الجمعية همّا إللي بيدفنوا تطوع وبعد كدة كل واحد بيروح لحال سبيله.

نادر: وبعدين عملتي إيه؟

جليلة: غسّلت الست وخدت ميّة الغُسل خبيتها، وعلى بالليل كنت مقابلة نبوية وطلعنا على التُرب لقيتها حاطة في العربية بتاعتها كشافات وفاس لزوم الشغل.

فتحنـــا التربة وحفرنا ونزلنا، نبويـــة كانت بتترعش حرفياً وقعـــدت في الأرض تقول كلام مـــش مفهوم وأنا بعمل إللي بتطلبه مني، كنت بدلق ميّة الغُسل على جسم الميتة، وفتحت بوقها بصعوبة وصبيت فيه ميّة الغُســـل بردو، بوقها كان مكلبش حجر.

فجأة إتغير وش الســـت الميتة لوش أمي، بعدها إتبدل للســـت إللي كانـــت بتطاردني، بعدها إتبدل لوشـــي أنا شخصياً!

ما حسيتش بنفسي غير وأنا برمي كل حاجة و خارجة أجري من التربـــة ودخلت العربية وقفلت على نفســـي وقعدت في الدواســـة أترعش زي العيال الصغيرة، نبوية جت ورايا تزعق فيّا وتقولي:

نبوية: الله يخربيتك هتخلي إللـــي ميعرفش يعرف، خليكي متلقحة هنا مكانك وأنا هجيب الحاجة وآجي.

غابت شـــوية ورجعت وركبت العربية ومشـــيناء إنت عارف يا أستاذ نادر أنا ماخوفتش من الميتة أنا خوفت من إللي قالته!

نادر: بس إنتي ماقولتيش إنها إتكلمت

جليلة: ودي هتفرق؟ أهي إتكلمت وخلاص

نادر: قالت إيه؟

جليلة: إخواتك هيدفعوا تمن إللـــي بتعمليه! إخواتك هيدفعوا...

نادر: وحصلهم حاجة؟

جليلـــة(إنفجرت باكية): ماتوا يا أســـتاذ نادر الإتنين ماتوا..ماتوا..

نادر(ضاحكاً): بس إنتي عايشة أهو

جليلة: بقولك ماتوا وأنا السبب هو إنت معندكش قلب؟ بتضحك؟!

نادر: المهم كملي..كملي.

جليلة: ده إللي فوقني يا أســـتاذ نـــادر موت إخواتي فوقني وخلانـــي أجيلك وقبل ما أجيلـــك روحت أبلغ عن

نفسي لأني ما أستاهلش أي رحمة أو شفقة وعاملوني إني عبيطة، أنا من يوم مانزلـــت القبر ده قررت مممـلش كدة تاني، وأفضل في الغُسل وبس، شغلي إللي إتعودت عليه، والحياة مشـــيت على كدة ســـنين لحد ما إخواتي البنات رجعوا مصر وقرروا يستقروا هنا وكل واحدة فيهم رجعت بجوزها وعيالها أصلهم كانوا متجوزين إتنين إخوات خدوا بيت واحد وعاشوا فيه وحصلت مصيبة والبيت ولّع بيهم كلهم وراح إخواتـــي وإجوازهم وعيالهم ده حتى معرفتش أغسّـــل حد فيهم،وكل إللي جه في بالـــي كلام الميتة إن إخواتك هيدفعوا التمن.

نبويـــة إتقبض عليهـــا وكانت فاكرة إن أنـــا ورا إللي حصلها ده وبعتتلي مرسال قالي: هتتمني الموت يا جليلة ومش هتطوليه، إللي عرفته بعد كـــدة إنها فتحت التُّرب على إخواتي وعيالهم وعملت نفس عمايلها السودا معاهم.

حســـيت إنها رسالة ليّا، رســـالة جاتلي زمان لما أمي ماتت ومفهمتهاش فقررت إنـــي أفهمها المرة دي وأفوق وأتوب وأرجع عن الطريق ده للأبد وقولت إنت الوحيد إللي هتصدقني وهتشيل عن قلبي الهم وضميري يرتاح

نادر(ساخرا): كان حد قالك إن أنا معايا صكوك الغفران؟

جليلة: يعني إيه صكوك الغفران دي؟

نادر(متهكما): ماتاخديش في بالك أنا بس بســـأل هو

إنتي لما تحكيلي ضميرك هيرتاح بتاع إيه؟

جليلة: إنت لسه مفهمتش أنا عايزة منك إيه؟

نادر: فهميني يا أم العُريف

جليلة: إفضحني، إنت ســـجلت بصوتي كل المصايب إللي أنا عملتها وإذا كانت الشـــرطة ماصدقتنيش، بعد ما إنت تنشر ده غصب عنهم هيلتفتوا ليّا، وبعدين إللي دلّني عليك قالي إنك واحد فُضَحي كده كده.

نادر: يعني إيه ياست إنتي؟

جليلة: يعني إنت ماشي بمبدأ يارايح كتّر من الفضايح وممكن تفضـــح أي حد مقابل إنك تنجح أكتر، صح ولا أنا غلطانة؟

نادر(مبتسما): والله جميل إنك عرفتي ده، بس تعرفي إنتي جيتي لي في الوقـــت الصح لو كنتي جيتي من مدة

بسيطة كان مستحيل أنشر أي حاجة بإسمك لكني دلوقتي أوعدك هتتفضحي فضيحة تليق بإسمي(نادر فودة).

(قفلت التسجيل وقولتلها كدة ضميرك إرتاح شوية؟)

جليلة: لما تنشر كل إللي قولتلهولك

نادر: ما أنا قولتلك إللي أوله شـــرط أخره نور هنشرلك كل ده بس الأول لازم أقف على غُسل وأنزل تربة وأشوفكوا بتهببوا إيه عن قُرب

جليلة: حاضر

نادر: تعرفـــي إن أنا لما أعمل ده وأحكيه هوقف أي حد عن إللي بتعمليه ده ويبطل ده تماماً، يعني هتاخدي ثواب كمان

جليلة: هظبطلك يا أســـتاذ نـــادر مقابلة مع مكاوي المغسل وهتصل بيك، إديني رقمك.

(كتبت لجليلة رقمي على ورقـــة وإديتهالها وقولتلها كلميني ياست الكل في أي وقت هرد عليكي.)

(جليلة مشـــيت وأنا لميت حاجتي ورجعت على البيت وأنا حاسس بإنتصار كبير بســـبب الطريق الجديد إللي

بدأته ومكمل فيه، طريـــق أنا مقرر هدوس فيه على رقبة أي حد يقف قدامي، ضيعت عمـــري في اللف هنا وهناك والبحث عن التميز الأدبي والسبق الصحفي وكلام الناس العميقة ده وفي الأخر مفيش فـــي جيبي جنية، ورئيس تحرير مايسواش ٣ مليم يوديني وواحد غيره يجيبني، أنا فوقت وبصنع تاريخ جديد مضيئ وقوي للصحفي الأول بلا منازع نادر فودة، جه وقت مجدك الشخصي يا نادر)

الفصل التاسع

(تربية مشايخ)

(معلش عزيزي القـــارئ التليفون بيـــرن ولازم أرد،
عارفين مين؟ جليلة حتى من غير ما أفتح المكالمة.)

نادر: آلو

جليلة: أيوة يا أستاذ نادر أنا جليلة

نادر: منورة

جليلة: أنا كلمت مكاوي المغسّـــل وقالي إنه كمان ٣
ساعات هيروح يغسّل ميت ويدفنه وهيوريك كل إللي عاوز
تشوفه

نادر: برافو عليكي، قوليلي العنوان بسرعة.

كتبت العنوان ورقم تليفونه ويـــادوب غيّرت هدومي
ونزلت وبعد أقل من ساعة كنت وصلت للعنوان.

بالمناسبة أنا مخدتش الكتاب معايا لأن بالبلدي رايح
أتعلم بس مش رايح أفرد عضلاتي أو أســـتعرض قدراتي
على حد.

وإتصلت بالرقم.

نادر: عم مـــكاوي معايا؟ أنا نادر إللي الســـت جليلة
كلمتك عني

مكاوي: الله يقطعك يا جليلة ويقطع مجايبك، إنت فين يا سي الأستاذ إنت

نادر: تحت البيت إللي في العنوان بالضبط

مكاوي: طب إتلقح عندك وأنا هنزلك

نادر: ما تتأخرش بس

مكاوي: لا هتأخر مش عاجبك غور.

فضلت واقف في الشارع ساعة إلا ربع ومفيش قدامي إختيار غير إني أستنى أستاذ زفت ده إنه ينزل لحد ما لقيت واحد نازل شكله ميت أصلاً، نحيف جداً لابس جلابية مكوية ١٠ مرات وفوقها عباية ودقنه بيضا قصيرة، عينه خضرا وبارزة لبرة، بيبص حواليه زي إللي عامل عملة.

نادر: عم مكاوي؟

مكاوي: عمى الدبب، إسمي الأستاذ مكاوي

نادر: طيب يا أستاذ مكاوي أنا أسف

مكاوي(ضاحكا): بضحّك معاك، المنطقة نورت ياباشا تعالى معايا.

مشـــيت وراه خرجنا من الحارة الصغيرة للشـــارع برا ووقف قدام عربية لاند كروزر عمـــري ما أحلم أركب في شنطتها إللي ورا!

مكاوي: قول ما شاء الله عينك هتفشخ العربية يا أخي!

نادر: هتفشخ؟! الملافظ سعد يا أستاذ مكاوي

مكاوي: ياسيدي ربنا يرزقك باللي أحسن منها

نادر: وهي دي في أحسن منها؟ دي بكام مليون بقى؟

مكاوي: ياكش تولعـــي ياجليلة، أنتي بعتالي صحفي ولا مأمور ضرايب، إركب يالاّ وخلصّني.

ركبت العربية وروحنا لمنطقة قريبة شعبية بردو وفي نفس محيط المقابر نزلنا ودخلنا بيت قديم طلعنا الدور الأول فيه.

مكاوي(يتنحنح): ياساتر ردت عليه ست كبيرة كانت قاعدة إتفضل ياعم مكاوي إتفضل ياخويا.

شاورت لنا الست على أوضة مقفولة، فتح مكاوي الباب ودخلنا، كان فيها جثة متغطية على ســـرير قديم، وعلى ترابيزة خشب جنب السرير ليفة وصابونة ومِشْك ومشط

وقطن وباقي عدة الشـــغل، قلع مكاوي العباية وأنا كمان قلعت الچاكيت وشمرت القميص علشان أتعلم.

مكاوي: هو إنت عمرك غسّلت قبل كدة.

نادر: حضرتك أنا غسّلت وإتغسّلت

مكاوي: طب غسّلت وفهمناها، إيه إتغسّلت دي كمان؟

نادر: ما تركز فـــي إللي بتعمله الله يرضى عنك وبطّل هري

مـــكاوي: أبطّل هري؟ طب يلاّ شـــيل كل الحاجة إللي على الترابيزة وحطها على الســـرير وبعد كدة شيل عمك سعداوي وحطه على الترابيزة.

نادر: سعداوي مين.

مكاوي: الميت، أمال إنت فاكر نفســـك جاي أكاديمية الفنون، إنت جاي تغسّل ميت! شيل الجثة وإخلص.

عملت إللي قال عليه ونقلت الجثة على الترابيزة، الباب خبّط، لقيت الست إللي قابلناها برا جايبة جردلين واحد فيه ميّة سخنة وواحد فيه ميّة ساقعة.

مكاوي: تحب تتوضى ولا ننجز ونشتغل بطريقتي؟

نادر(ساخراً): إنت هتحوّر هو إللي زيك بيركعها أصلاً؟

مكاوي: خـــد مفتاح العربية، هتنزل تفتح الشـــنطة هتلاقي چركن لونه أزرق هاته بسرعة.

نزلت جبتله الچركن، وطلب مني أحطه تحت الترابيزة، مـــكاوي عمل إللي بيتعمل في الغُســـل العادي، معملش حاجة مختلفة غير إن الميّة إللي كانت بتنزل من الغُســـل كان بينزل منها كتير فـــي الچركن، بعد ما خلصنا خرج من جيبة كيس بلاستيك أسود حط فيه الصابونة والليفة والمشـــط، وبعدها رجع الكيس في جيبـــة تاني وخرج تليفون صغير من جيبة غير إللي كان معاه وإتصل بحد وقاله: أيوة يابني أنا خلصت يلاّ إتحركوا.

الناس شـــالوا الجثة وحطوها في الخشـــبة ونزلوها عربية نقل الميتين، وركبت الست إللي قابلناها في نفس العربية وأنا ركبـــت مع مكاوي عربيته، وبنفس التليفون عمل مكاوي مكالمة تانية:

مكاوي: أيـــوة يابني فتحت التربة وكلـــه تمام؟ إحنا جايين في الطريق ومعانا الأمانة.

نادر: هو الراجل ده مالوش أهل؟

مكاوي: لأ، الست دي مراته ومقطوعين من شجرة، أديك شـــايف مفيش حد جه معانا يدفنه، هو البني أدم كده يا نادر بيه بيجي غريب ويمشي غريب

نادر(ساخراً): الله عليك وعلى حِكمك

مكاوي: الله عليك وعلى أبوك.

وصلنا المقابر، الناس نزلوا الخشبة ونزلت مع مكاوي جوا التربة علشـــان ندفـــن الميت، كان في شـــابين في إنتظارنا غالباً هم إللي فتحوا التربة قبل مانيجي، محدش نزل التربة مع مكاوي غيري.

فجأة قطع فتحة في الكفن وطلع من جيبة المشــط والصابونة والليفة، مرمغ الصابونة في التراب وســابها وكسر أســـنان المشط سن ســـن، ودفن كل سن في حتة مختلفة في الرمل، ومســـك الليفـــة وقطعها أجزاء كتيرة وبدأ يدفس كل جزء في حتـــة مختلفة من الكفن والجزء إللي قطعه في الكفن طلع من جيبة ورقة متطبقة ودفنها جواه.

طول ماهو بيعمل ده أنا عمال بســـأله فهمني بتعمل ده ليه؟ وهو ما بيردش عليّا لحد ما زهقت وسكتّ وبطلت أســــأل ولحد ماهو خلص وخرجنا من التربة، كانت عربية نقل الميتين مشـــيت ومفيش غير الست إللي بتعيط على جوزها والشــــابين إللي قابلونا في الأول، مشينا كلنا وراه لحد العربية بتاعته، شاورلنا إني أركب أنا والست، لمحته بيدي الشابين فلوس، رجع ركب العربية وطلع من التابلوه كيس فيه رُزم فلوس إداهم للســــت وقالها: خيركم علينا ياســــت ولما يقربوا يخلصوا كلميني وزي ما إتفقنا كل طلباتك مُجابة.

الســــت مدت إيدها وشـــدت الفلـــوس زي المجنونة ومانطقتش وقامت موطية بايسة إيد مكاوي!

وصلناهـــا لبيتها وبعد كدة روحنـــا عند بيت مكاوي لقيته بيديني عشرين ألف جنية وبيقولي: ده حقك!

نادر: حقي! هو أنا عملت إيه؟

مكاوي: كل ما تساعد وإنت ساكت حقك بيكبر تتكلم حقك يقل، وبعدين إنت جاي من طرف واحدة خيرها على الكل!

نادر: بس أنا محتاج أفهم أنا مش عايز فلوس

مكاوي: ماهو لو فهمت مش هتكمل لأن إللي عرفته عنك إنك تربية مشايخ

نادر(مبتسماً): لا ده كان زمان يامكاوي بيه، أنا هكمل تحت أي بند وتحت أي ظرف

مكاوي: هفهمك بطريقتي مش بطريقتك، خلاص؟

نادر: يعني إيه؟

مكاوي: هبعتك شغلانة لوحدك وهستناك ترجع وتقولي هتكمل ولا تربية المشايخ هتغلب؟

نادر: موافق

مكاوي: بص ياسيدي، هتروح تاني، مكان ما كُنا موجودين، هتفتح التُربة، وهتجيب حته من صباع الميت وكل سنان المشط إللي أنا دفنتها، تلمها وتجيبها وتكلمني وإنت هناك وهقولك هتعمل إيه تاني.

(مكانش في إيدي غير إن أنا أوافق أنا محتاج أثبت لنفسي إن أنا إتغيرت وحوار تربية المشايخ ده كان زمان وجبر

وبالفعل نزلت وروحت على نفس المكان.

الشـــئ الغريب إني لقيت التُربة مفتوحة زي ما يكون مكاوي بعت حـــد يفتحها قبل ما أوصل، فجأة ســـمعت صوت طفل بيهمس وبيقولي:

نهايتك قربت..

نهايتك قربت..

إلتفتّ بســـرعة ورايا لقيت طفـــل صغير مايكملش ٦ سنين واقف في الضلمة ومش باين من ملامحه حاجة.)

نادر: إنت مين ياحبيبي؟

الطفل: أنا مرســـول جهنم وجاي أقولك لو نزلت مش هتطلع تاني، هتتحبس جـــوا لحد ما تموت، إحنا عارفين إنـــك بتدور على المجد، وبس العَملـــة إللي هتعملها دي هتخلص عليك، إهرب وشـــوفلك حاجة تانية قبل ما وراد المقابر يخلص عليك، ولا أقولك تعالى ورايا.

إتحرك بمنتهى الســـرعة ولقيتني بتشـــد وراه بدون إرادتي كان بيجري بسرعة رهيبة زي الطيف، وأنا زيّه لحد ما لقيت نفســـي قدام حيطة سد زي ماتكون سور لمبنى

قديم من القاهرة زمان، وعلى الأرض كان في شـــاهد قبر مكتوب عليه «قبر الصحفي نادر فودة».

أنا إتجمـــدت مكاني وفقدت النطق مـــن المنظر وده معناه إن كلام الطفل ده صح، ده قبرك يا نادر!

طلعت تليفوني وكلمت مكاوي..

مكاوي: هااه سبع ولا تربية مشايخ؟

نادر: إنت ماقولتليش ليـــه إن في عفريت عيّل صغير هيطلع لي؟

مكاوي: عفريت مين؟ إنت هتخرف، إنت خرفت وبدأت تهلوس شكلك، كل ده من الخوف على فكرة.

نادر: لا أنا مابخافش وشوفت أكتر من كدة ٢٠ مرة وأكتر.

مكاوي(مقاطعا): بعدين عيّل إيه إللي طلع لك ده، قالك عايز إيه؟

نادر: قالي إسمه مرسول جهنم

مكاوي: وطلب منك إيه بسلامته؟

نادر: طلب مني أمشي وراه وإلا هموت، ده وراني شاهد التربة بتاعتي!

مكاوي(ضاحكاً): إنت خسرت وتربية المشايخ كسبت يامعلم.

نادر: يعني إيه؟

مكاوي: إللي طلع لك ده مش مرسول جهنم ولا حاجة زي ما قالك

نادر: أمال إيه؟

مكاوي: ده ملاك حضرتك، الملايكة لسه شايفين جواك خير وعلشان كده بيساعدوك تبعد عن سكتنا وإللي طبعاً مش على هواهم.

نادر: بقولك شوفت تُربتي، إنت بهيم!

مكاوي: تحب أوريك ١٠ تُرب عليهم إســمك دلوقتي؟ والله ماحد بهيم غيرك.

نادر: بس أنا مش نادر القديم أنا أتغيرت وإتعرفت على أسوء خلق الله والدليل إني بكلمك دلوقتي

مكاوي(ضاحكاً): لا ياحبيبي إنت دلوقتي بترقص على السلم لا عارف تبقى زيّنا ولا عاوز ترجع لتربية المشايخ

نادر: أنا هرجع التُربة دلوقتي وهعمل إللي أنت طلبته مني كله وهتشوف.

مكاوي: آسف، فرصتك خلصت، لا هتعرف توصل للتُربة ولا هتعرف تعمـــل أي حاجة ونصيحة ليك ماتتصلش بيّا تاني، شوفلك حد غيري يعلمك الشُغلانة لأني مش فاتحها حضانة، وبعدين ياســـيدي يابختك إن لسه في منك أمل والملايكة عايزة ترجعك للطريق الصح، يابك لسه موارِب بلاش تقفله خالص.

نادر: إنت إللي بتقول الطريق الصح؟

مكاوي: طبعاً الطريق الصـــح، هو إنت فاكر إننا مش عارفين إن إللي بنعمله ده كله غلط ونهايتنا هتبقى سودا، روّح بيتك يابني وإحمد ربنا إن باب توبتك لســـه مفتوح، إلحق أدخل منه قبل ما يتقفل وما يتفتحش تاني، ويمكن نصيحتي ليك تشفع لي عنده

نادر: عند مين؟!

مكاوي: عند ربنا، إنت نسيته ولا إيه؟!

الفصل العاشر

(بيوت مسكونة)

من بداية اليوم وأنا قلبي مقبوض مع إني محقق نجاح متميز بأخر تحقيق نشــرته عن قصة بســنت وإتصرف لي بســببه مكافأة محترمة، ولسه كمان لما أنشر تحقيق «جليلة ومكاوي» بس بردو مش مرتــاح إوعوا حد منكوا يقولــي ده ضميرك(على فكرة أنا بضحــك دلوقتي) إللي عندي حاجة تعالوا نســميها مثلاً قلــق العظماء، ماهو ياجماعة الوصول للنجاح صعب لكن الحفاظ عليه أصعب بكتير، بس بردو أنا مش مظبوط، حاسس زي مايكون في حاجة هتحصل وده إنذار ليّا إني أخد بالي.

قطع حبل أفكاري كعادته السخيفة مدبولي وهو داخل بمشروب الصباح، إلهي يطفحه!

مدبولي: صباح الخير يا أستاذ نادر

نادر: إيه إللي إنت جايبه ده؟ فين الشاي؟

مدبولي: الشــاي مش هيطين إشــرب بــس كوباية الكركدية دي علشان يروق أعصابك وشوية ومعملك أحلى كوباية شاي.

نادر: هو للدرجادي باين عليّا إني تعبان يامدبولي؟!

مدبولي: إنت إللي بتعمل كل ده في نفسك

نادر: هااا.. وإيه كمان؟

مدبولي: إخلص من الكتاب ده يابني، أو هاته وهخلصك منه

نادر: إنت حنيت ولا إيه؟!

مدبولي: أحن للأيام السودا؟ الله لا يعودها.

نادر: طبعاً، ما إنت شايفني إحلويت وده بشهادتك والفلوس هتجري في إيدي أكتر، فطبيعي إن عقلك يقولك ترجع مدبولي بتاع التلات ورقات.

مدبولي: حدالله بيني وبين أي حاجة تغضب ربنا تماماً

نادر: ما تغضبهوش تماماً أغضبه نص نص، إنت عارف يامدبولي إنت بتفكرني بمين؟

مدبولي: بمين يا أستاذ نادر؟

نادر: بالواحدة إللي بتفضل تلبس الحجاب وتقلعه، في المناسبات تقلعه وتلبسه في رمضان، وتلبسه في التراويح، وتقلعه ليلة العيد وتبص في المراية بعد رمضان

ما يخلص وتقول الحجاب شـــكله مكبرني وترجع تلبسه في العمرة وبعدها تقـــول دي طاعة أنا مش قادرة عليها، تقلعه وتطلب من إللي حواليها يدعولها، ترجع تلبســـه وتقلعه وتقلع كل إللي معاه.

مدبولي: ماهو يا أســـتاذ نادر يا مثقف ده إسمه جهاد النفـــس إحنا مش دورنـــا إننا نحكم علـــى البني أدمين والواحدة إللي إنت بتتكلم عنها دي أكيد بتكون نفســـياً حالتها صعبة جداً ومش الحل إننـــا نجلدها، وبعدين أنا مش فاهم ده إيه علاقته بيّا!!

نادر: علاقته بيك وثيقة جداً وهفكرك يامدبولي قريب جـــداً هترجع زي الأول وتمارس كل إللي كنت بتعمله بس متغلف بصِبغة دينيـــة المرة دي ماهو الموضوع ده بردو بيكسّب والزباين الهُبط كتير كل مافي الموضوع تظبيط الشـــغل كدة، وافتح التلفزيون وهتلاقي من النوعية دي كتير.

دقن، جلابية مكوية، عود سواك في جيب الجلابية إللي فوق، سبحة، إزازة مسك تستحمى بيها وإنت خارج وشوية جُمل من نوعية...

- اللهم بارك

- جزاك الله خيراً

- الله يعزك

- وتعوج لسانك في نُطق الأسامي:

يعني تقول فاطِمة بدل فطمة وعائشة بدل عيشة

وعبدُاللّه بدل عبدالله

وتحجّب الفنانات وتدي دروس في الفيلال، وتعمل خط الفتاوي، وكل شوية تتجوزلك عيّلة من دور عيالك.

مدبولي(مقاطعا): أعوذ بالله إنت بقيت شـيطان، إنت وصلت لمرحلة صعبة والناس إللي إنت بتتريق عليهم دول ناس بتحاول تجتهد علشـان تمشي على الطريق الصح، وعلى حد علمي إن إنت تتلمذت على إيد واحد منهم ومش كلهم كده زي ما إنت مقتنع!

نادر: الله يرحمه بقى زمانه مات

مدبولي: الله يرحمنا جميعاً، بجـد إنت صعبان عليّا وأقولك على حاجة؟ الموضوع مـش موضوع كتاب، إللي إنت فيه ده حاجـة أكبر وأخطر بكتير ربنا يكفينا يابني

ويكفيك شـــرور وتقلبات الدنيا، بعـــد إذنك هروح أكمل شغلي، صحيح نسـيتني يا أسـتاذ نادر في أنسة جت النهاردة بدري وسـابت لحضرتك رقم تليفونها وبتقولك كلمها ضروري عندها ليك قصة هتعجبك جداً

نادر: ما قالتش حاجة تاني؟

مدبولي: ولا حرف، رقمها في الورقة دي إتفضل أهو.

(- أخدت الرقم من مدبولي وشربت الكركدية ومكانش عندي حاجة أعملها النهاردة فقولت أتصل بصاحبة الرقم يمكن نقفل السنة بتحقيق محترم أحط على الكل به.)

وأهو تليفوني بيرن برقم أمي كنسـلتها، إتصلت تاني رجعت كنسـلتها إتصلت تالت ورابـع وخامس بصيت للتليفون وقولتلها مـش وقتك ولا وقت لطفي لما أخلص التحقيق الجديد هبقى أروح أعزي في البلد، أنا مش فاهم هو أنا خلفته ونسيته!

- طلبـت الرقم رد عليّا صـوت كان مكتوم، بعيد زي مايكون صاحبته عندها برد ومبحوح كدة.

صاحبة الرقم: أستاذ نادر صح؟

نادر: أيوة مع حضرتك أؤمريني

صاحبة الرقم: أنا فرح بكلمك من الفيوم عندنا مشكلة كبيرة وعرفنا مؤخراً بتحل أي مشكلة مش بس كصحفي

نادر(بنبـــرة زهو): إيه ده هو وصلكـــوا ده في الفيوم كمان...ده شئ عظيم وحقيقي.

فرح: طبعاً يا أستاذ نادر

نادر: هي البحة إللي في صوت حضرتك دي دور برد ولا صوتك حلو كدة على طول؟!

فرح: تقدر تقـــول الإتنين بس طالمـــا عاجبك خليه مبحوح كدة أحسن على طول.

نادر(ضاحكاً): لأ ده أنا أجي النهاردة أشـــوف الحكاية دي بنفسي.

فرح: تمام، هبعت لحضرتك العنوان في رسالة

نادر: عندي سؤال هي المشكلة دي خاصة ولا عامة

فرح: مش فاهمة، يعني إيه؟

نادر: يعني مشـــكلة تخصك إنتي ولا حد من طرفك ولا حد معرفة سطحية ولا حد من قرايبك

فرح: هتفرق؟!

نادر: أه طبعاً هتفرق كتير علشان إحنا ما إتفقناش

فرح: ما إتفقناش على إيه؟ وعلى العموم هي مشـــكلة تخص القرية عندنا كلها، والكل اتبهدلوا بسببها!

نادر: تمام يبقى تجمعيلي من أهل القرية إللي عندك ١٠ ألاف جنية يكونوا جاهزين أخدهم قبل ما أعمل أي حاجة

فرح: هو حضرتك بتاخد فلوس؟

نادر: بسم الله كدة هستفتح بيكي، وهتكوني أول حد أخد منه فلوس، أصل بيني وبينك الشـــغلانة لمّت وإللي زيي لازم يكون مميز وياخد حقه

فرح: طب ممكن تقلل المبلغ شوية؟ البلد عندنا أهلها غلابة أوي

نادر: على فكرة أنا هاخد في أول تحقيق هعمله بعدك الضعف، شوفتي أنا كارمك إزاي يا فرّوحة!

فرح: حاضر ينفع تيجي النهاردة؟

نادر: لو المبلغ هيكون جاهز هاجي

فرح: ماتقلقش كل حاجة هتكون جاهزة

نادر: كل حاجة يعني إيه، أي حاجة هطلبها!؟

فرح: هنستناك يا أستاذ نادر.

- إنتهت المكالمة بس الأهم من ده كله حكاية إني أخد فلوس دي عبقرية دي جاتلي وقتي وأنا بكلمها. ده الواحد ممكن يعمل ثروة من المغفلين، ربنا يخليلنا الجهلة ويبارك لنا في مدينة البهائم.

- مشيت من الشغل من غير حتى ما أستاذن روحت الشقة جبت شنطتي إللي فيها شرايط الكاسيت وجهاز التسجيل والكشاف والورق والأقلام وطبعاً مانسيتش أحط الكتاب، ومن ميدان الرماية ركبت العربية إللي رايحة الفيوم، ورجعت ركبت مواصلة تانية للقرية نفسها على ما وصلت كانت الساعة ٨ بالليل إتصلت على فرح وعرفتني هتقابلني فين.

وصلت المكان إللي إتفقنا عليه لقيت واحدة واقفة لابسة نقاب وندهت عليّا.

فرح: أستاذ نادر صح؟

نادر: لولا صوتك المبحوح مكنتش عرفتك، هتقعد فين في الحتة المقطوعة إللي إحنا فيها دي؟

فرح: معلش أنا أســــفة إني جيتـــك هنا أصل أي حد لو شافني واقفة مع واحد غريب إنت عارف بقى كلام الناس

نادر: بس مـــش لدرجة إنك تجيبيني في حتة مقطوعة كدة!

فـــــرح: والله هي ما كانتش مقطوعة غير بســـبب إللي محكيهولك، هو إللي خلى الناس كلها تبعد عن هنا

نادر: شوقتيني.

– قعدت أنا وفـــرح على دكة خشـــــب قديمة، وخليني أوصفلكم المكان بالضبط..

المكان عبارة عن أرض مهجورة شجرها ميت، الريحة كانت غريبة مش عارف أوصفهـــا كل إللي أقدر أقوله إنه مكان ميت غرقان في معظم الضلمة.

شاورت لي فرح على بير مبني بحجر قديم وقالتلي:

فرح: الحكاية كلها في البير دخ،

نادر: إنتي صوتك مش غريـــب عليّا لو البحة دي مش موجودة حاسس إن الصوت هيكون مميز جداً

فرح: أعتبر دي معاكسة ولا إطراء؟!

نادر(مبتسماً بخبث): إللي تحبيه أنا موافق عليه

فرح(مقاطعة): بـــس غريبة إنت ما ســـألتنيش على الفلوس

نادر(متلعثماً): طبعاً.. طبعاً كنت هسأل، هي فين؟

فرح: إتفضل، بس أرجوك شوفلنا حل في المصيبة إللي إحنا فيها دي

نادر: للدرجة دي مصيبة؟!

فرح: لما الموضوع يكون متعلق ببُق الميّة إللي بنشربه يبقى أكيد مصيبة

نادر: البير ده طلع منه عفاريت ولا حاجة؟

فرح: لا عفاريت إيه إنت فهمتني غلط، أنا هحكيلك...

البير ده منعرفش ميـــن إللي بناه، ناس بيقولوا قدماء المصريين وناس بيقولوا محمد علي باشا وناس بيقولوا حد من الأولياء وناس مصممة إن الجن إللي بناه.

كنا على طول بنشرب منه ونروي منه وعمره مانقص، بـــس إللي إتعودنا عليه من زمان إن فـــي أيام ١٣، ١٤، ١٥ ممنوع نقرب منه، ويوم ١٥ بالليل نجيب دبيحة ونحطها قدام البيـــر ويوم ١٦ الفجر نيجي نلاقـــي الدبيحة مش موجودة ومفيش نقطة دم واحدة ولا حتى عضمة فنعرف إن الدبيحـــة إتقبلت وإننا هنرجع ناخـــد من البير خيره، وفضلنا على الحال ده سنين من أيام جدي وجد جدي لحد الشهر إللي فات، واحد من شباب البلد جه يزوره زميله من القاهرة قام حاكيله على الموضوع كله، نسيت أقولك إن في عهد في البلد هنا إن حكاية البير دي محدش يعرفها أبداً علشان كدة لو قلبت الدنيا مش هتلاقي معلومة واحدة عن البير ده، أدخل على النت وأكتب بير مســـحور في الفيوم أتحداك لو لقيت حاجة.

نادر: ياســتي ولا هدخل ولا هطلـــع، إحكي إنتي بس وهصدقك.

فرح: المهم ياسيدي الشـــاب إللي كان من القاهرة ده كان إسمه زياد وصاحبه إللي كان من البلد كان إسمه وليد، فضل زياد يســـمع من وليد كل حاجة عن البير وألح عليه

إنه يروح يشوف البير فخده وراحوا في الأيام العادية إللي مســـموح لنا فيها بالزيارة لكن زياد قالـــه أنا عايز أروح في الأيام المحظورة، وليد رفض تماماً والموضوع إتطور بينهم لخناقة إنتهت بإن زياد زعل وسافر القاهرة.

كل ده والموضـــوع كان عـــادي ومحـــدش كان عارف حاجة أصلاً، لحد يوم ١٣ بالليل الشـــهر إللي فات، سمعنا كلنا في البلد صرخة جاية مـــن ناحية البير رجالة البلد إتجمعـــوا ومابقوش عارفين يعملوا إيه، الصرخة إتكررت تاني ومحدش عنده الشجاعة يقترح إنه يروح حتى يشوف في إيه، إنت بتتكلم في عادة بقالها سنين ومحدش يقدر يغيرهـــا، وفي عز ما الرجالة واقفيـــن بيفكروا الصويت إشتغل بس المرادي كان جاي من جوا البيوت، طلع الرجالة يجروا كل واحد على بيته، وكانـــت الصدمة، كل بيت من بيوت الرجالة إللي خرجت وإللي كانوا فوق العشرين بيت حصل فيه مصيبة.

يعني مثلاً.. أول بيت منهم الست إللي فيه، باب البيت خبط فتحت لقت جوزها داخل، وهو بيمشـــي جوا البيت بتبص علـــى رجليه لقتها مليانه شـــعر وصوابع رجليه

زي حوافر الحيوانات فالســـت صرخت من الهلع بتقول إن جوزها إلتفت لها وفضل يطوّل..يطوّل لحد ما راسه وصلت للسقف، ووقعت من طولها فاقدة الوعي من المنظر

- (البيت التاني)..

الأطفال إللي فيه سمعوا خبط على الشباك فتحوا الشباك لقوا رؤس متقطعة ومرصوصة على الشـــباك، الرؤس دي كانت لأبوهم وأمهم، العيال فضلت تصوت وبيقولوا بعدها إن الرؤس دي كانت حية وبتبصلهم بغضب.

- (البيت الثالث)..

كانت عروســـة جديدة، وجوزها خرج مع إللي خرجوا، البـــاب خبط عليها لقت حماتهـــا بتقولها: جوزك هيبات برا إنزلي علشـــان تباتي معايا تحت، نزلت وراها بس ما دخلتش الشقة، بتقول إنها لقت حماتها خرجت للشارع، فنادت عليها علشان تشـــوفها رايحة فين، ماردتش عليها إتلفتت لها بس وشاورتلها تمشـــي وراها، لسه هتتحرك وراها ســـمعت صوت بينادي عليها بإسمها إتلفتت لقت

حماتها واقفة على باب الـــدار وبتزعقلها وبتقولها: إنتي رايحة فين متأخر وجوزك برا؟

البنت يا أســــتاذ نادر لسانها إتشل وإتلفتت تدور على إللي كانت ماشية وراها فص ملح وداب!!

(البيت الرابع)..

الباب خبط فتحت الزوجة لقـــت واحد غريب بيقولها جوزك طبّ ســـاكت والرجالة شـــايلينه وجايبينه ورايا، فضي أوضة علشان يتغسّـــل فيها، الست فضلت تصوت هي وعيالها على جوزها إللي المفروض إنه مات، ووقفت لوحدها على باب الدار تســـتنى وصـــول جثمان جوزها ومفيش حاجة جت، ســـمعت ضحك عالي من جوا دخلت تجري لقت جوزهـــا ميت ومحطوط فـــي الأرض عريان وولادها جايبيـــن جرادل مليانـــة دم وبيصبوا عليه، من الصدمة فقدت النطق وإبنها بصلهـــا وقالها: أحنا أولى بغُسل أبونا!

(البيت الخامس)..

الزوجة بتحكي إنها كانت بتتقلب على السرير لقيّت جوزهـــا صاحي ومفتح عينيه وعينيه كانت كلها ســـودا

وفتح بوقه علـــى الآخر وصرخ في وشــها وقالها: نامي ياولية، نطت من على الســـرير طلعت تجري في الصالة لقت الباب بيفتح وجوزها داخل من برا.

(البيت السادس)..

كان بيت راجل عايش هو وأمه العجوزة لوحدهم وخرج مع إللي خرجوا، لما رجع لقي أمه المُسنة مش قاعدة في الصالة مكان ما سابها وخصوصاً إن حركتها صعبة، نده عليها وسمع صوتها من جوا بتقوله: أنا جيالك يابني، بص لقاها جاية بتمشـــي على إديها ورجليها وراسها مقلوبة لفوق وجاية جري عليــه وبتقوله(بصوت مخيف): البير المحظور إتدنّس!..إتدنّس!..إتدنّس!!!

(البيت السابع)..

ساكن فيه راجل أرمل وعايش لوحده، لما رجع مع إللي رجعـــوا ودخل أوضته لقي مراته إللـــي ماتت قاعدة قدام التسريحة بتسرح شعرها وبصت له من خلال المراية بصة هربت الدم من عروقه وبتقوله: وحشتني!

الراجل ميقاش عارف يعمل إيه، رجع بضهره علشـــان يخرج من الأوضة خبط في جسم إتلفت لقاها مراته الميتة

وبتقوله: هو في حد يخاف من نصه التاني؟ وحشـــتني ياحبيبي!

ومدت أيديها وحضنته، بيحكي ويقول إنه حس بروحه بتتسحب منه وكل إللي فاكره إنها قالتله:

الغريب دنّس البير المحظور

الغريب دنّس البير المحظور

الغريب دنّس البير المحظور

(البيت الثامن)..

بيت من البيوت إللي كل أهل البلد بيحبوا يســـألوا عن أهلـــه لأنه لزوج وزوجة مات إبنهـــم الوحيد وهو عنده ٦ ســـنين في حادثة، بيحكي صاحب البيت وبيقول روّحت لقيت مراتي نايمة فإتطمنـــت إن الصويت مكانش جاي من بيتي وقولت أخرج علشان أتطمن على باقي أهل البلد، وأول ما وصلت عند باب البيت سمعت صوت بينادي عليّا أنا عارفه كويس، صوت إبني كريم الله يرحمه، إتجمدت في مكاني كان كل ما يقول بابا كان جسمي يتنفض، لحد ما لقيته جاي يمشي بالراحة في الطُرقة وكان ماشي بيتطوّح وفي إيده ســـكينة كبيرة من المطبخ غرقانة دم وبيقولي:

أنا وصّلت ماما للسما وجاي علشان أوصّلك إنت كمان، لما بصيت في عنيه كانت كلها لونها أبيض مُخيفة، وسمعت صوت حشـــرجة جاي من أوضتي أنــا ومراتي، وقعت من طولي.

وفوقت ملقيتش أي حاجة من الكلام ده حصل ولا إبني رجع ولا مراتي إتدبحت ولا أي حاجة.

(البيت التاسع)..

بيحكي صاحبه إنه لما سمع الصوت جري هو والرجالة، وكل واحد راح يجري علـــى بيته، بيقول لما وصلت لقيت الباب متـــوارب، أول لما دخلت الباب إتـــرزع ورايا والنار مسكت في كل حتة في البيت، نار كتيرة وكبيرة لدرجة إن أنــا مكانش عندي فرصة ألحق أطفي أي حاجة، كل حاجة ولعت مع بعضها الستاير والكراسي والكتب بالعفش كله، ومن وسط النار سمعت صوت ولادي بيصرخوا.

من غير ما أفكر دخلت جوا النار وحصل حاجة غريبة أنا ما حســـيتش بأي حـــرارة بالعكس أنا حســـيت بتلج وساقعة رهيبة مابقيتش فاهم إزاي النار دي كلها حواليا وطالع منها تلج كدة، يمكن إللي يسمع يقول دي أرحم من

النار لكن لأ السقعة طبقت على صدري، وجمدت أطرافي، ووقعت على الأرض، وأخر حاجة فاكرها إني شـــوفت في الأرض عيالي وأمهم كانوا بيزحفوا ناحيتي وأول ما وصلوا عندي قالـــوا: الغريب دنّس البين وبعدها غبت عن الوعي، وآخر حاجة شـــوفتها كانوا بيقطعوا صوابعهم بأسنانهم وبياكلوها ووشوشهم بقت عبارة عن كُتل دم بس.

(البيت العاشر)..

صاحبه لمـــا رجع لقي مراتـــه وعيالـــه واقفين برا وبيعيطوا، ولما سألهم في إيه، قالوله: إنت بعد ما خرجت، ســـمعنا صوت خبط ورزع جاي من الحمام روحنا فتحنا الباب نبص في إيه لقينا الحمام مليان تعابين فوق بعض وبمجرد ما فتحنا الباب زحفوا بسرعة جداً كأنهم بيجروا ورانـــا، وكنا كل أما نروح نســـتخبى فـــي أوضة نلاقيها مليانة تعابين، فين وفين على ما قدرنا نوصل لباب البيت وخرجنا نجري برا.

بس بعد ما كانوا محاوطين أوكرة باب البيت ومحدش يقدر يمد إيده يفتح، فين وفين لما سابوها وعرفنا نخرج.

لما الراجل يا أســـتاذ نادر دخل البيت ملقاش التعابين لكنه لقى مئات من الجلود إللــــي التعابين بتخلعها من جسمها في وقت تغيير الجلد، من بشاعة المنظر خد ولاده ومراته وراح بـــات ليلتها عند الجيران، طبعاً منظر صعب جداً.

(البيت الحادي عشر)..

صاحبه بيقـــول دخلت البيت كان عادي جداً مفيهوش حاجة غريبة وبنتي ومراتي كانوا كويســـيين فســــألتهم سمعتوا الصوت؟

قالوا: سمعوه وخافوا يخرجوا يشوفوا في إيه لأنه كان رهيب.

وعــــدى الوقت وبالليل قام صاحـــب البيت على صوت دق ثابت ومنتظم خـــرج لقى مراته بتدق لحمة في الهون النحاس بتاع زمان دهعلشان تعمل كفتة فسألها ليه الدق ده بالليل يا ولية؟ فكان ردها علشــــان اللحمة تبقى طازة، سمع صوت خروشـــة في المطبخ دخل لقى بنته بتمسح أرضية المطبخ بردو إستغرب من التوقيت!

بنته كانت عنيها سرحانة وشاردة تماماً وخلصت إللي بتعملـــه وخرجت في هدوء، طلع هو كمـــان قعد معاهم شــــوية لحد ما مراته خلصت بس لاحظ إن طول ما مراته بتدق اللحمة فـــي صوت قطط مزعج جـــداً جاي من برا البيت، فقالها هفتح أمشيهم، فجأة عنيها إتقلبت وقالتله: الغريب دنّس البير والبير بلعه!!!

شــــوية ودخلت مراته وبنته يناموا وصوت القطط زاد أوي وبقى لا يطاق، فتح صاحب البيت الباب علشان يهش القطط ويمشــــيهم إتفاجئ إن إللي واقفين قدام باب بيته أكتر من عشر قطط وإللي ما إستنوش، دول دخلوا بسرعة من بيـــن رجليه جري على المطبخ، دخـــل وراهم لقاهم بيشدوا كيس من الزبالة عاوزين يخرّجوه، كان فاهم إنهم جعانين، فشــــال الكيس يشوف لو فيه أكل يرميه للقطط برا، الكيس إتقطع ووقع منه ٣ رؤس قطط وجلد مسلوخ!!!

الراجل إتصدم ورماه في الأرض، القطط شالوا الرؤس والجلد بســــنانهم وطلعوا يجروا به برا، وإتبقى بعضهم واقفين ينونوا ببشاعة قدام باب التلاجة، فهم المطلوب

وفتح باب الفريزر لقى مراته عاملة ٣ أكياس لحم مفروم من القطط! مفيش إحتمال تاني.

شـــالهم ونزلهم على الأرض، القطط خدتهم وخرجت بهم في هدوء وبطلوا يعملوا أي صوت! وإختفوا.

بعدها بيقول إنه فضل صاحـــي طول الليل مش بس من الخوف من إللي مراته وبنته عملوه لأ علشان هم كمان طـــول الليل كانوا بيزوموا وبينونـــووا وبيطلعوا أصوات مُخيفة أكتر من صوت القطط نفسها!

-تاني يوم مراته وبنته لما صحيوا مكانوش فاكرين أي حاجة مـــن إللي حصل! ولا كأن الليلة إللي فاتت كان فيها مجزرة حرفياً في البيت!

وإفتكر صاحبنا إن الموضوع إنتهى، لكن كان كل ليلة بعد ما مراته وبنته أول ما ينامـــوا يرجعوا يعملوا نفس الصوت المُخيف من جديد!

لحد ما قرر يسيب البيت خالص ومشي من البلد كلها!

(أما البيت رقم ١٢)

كان عايش فيه شاب ومعاه أبوه كبير في السن وبيعاني من الزهايمر أول ما الشـــاب روّح البيت قلب الدنيا على والده ملقاهوش فاترعب لا يكون خرج!!

لكنه إكتشف أن أبوه مســـتخبي ورا كرسـي الصالون، تعجب الشاب وســـند أبوه وقعده على الكرسي وسأله ليه مستخبي يا بابا؟

الأب: البعبع يابني

الشاب: بعبع إيه ياوالدي؟!

الأب: البعبع كان هنا وكان عاوز ياكلني يابني.

الشاب: ياوالدي بيتهيألك مش أنا قولتلك قبل كده إنت بيتهيألك حاجات كتير

الأب: والله يابني البعبع كان هنا

الشاب: طب شكله إيه؟

الأب: كان عفريت كبير وله قرون كبيرة وعينه تخوّف.

الشاب: إشمعنى فاكر دي، ما إنت بتنسى كل حاجة!

الأب: لأ أنـــا فاكر وحتى قالي: الغريب دنّس البير ودفع التمن والبلد كلها هتدفع التمن!

بيقول الشاب يا أســـتاذ نادر إنه أخد والده نيّمه وهو مصمم إن كان في بعبع في البيت.

وبمجرد ما الشـــاب نام..صحي على حر شـــديد فتح، عينيه وقام يفتح الشـــباك علشان يدخل نسمة هوا، مجرد ما الشباك إتفتح لقي مسخ واقف في وشه، مبدئياً الشباك ده في الدور التاني ومفيش حاجة يقدر يقف عليها

ثانياً بقى: إنه شاف نفس الشئ بنفس المواصفات إللي أبوه قاله عليهـــا، ده كمان عاد له نفس الجملة إللي قالها لأبوه:

الغريـــب دنّس البير ودفع التمـــن والبلد كلها هتدفع التمن!

طلع الشـــاب يجري على والده صحاه وقاله يا والدي كلامك صح، أنا شوفت البعبع أنا كمان وقالي نفس الكلام إللي قالهولك.

الأب: بعبع إيه ياحبيبي؟ إنت شكلك كنت بتحلم بكابوس وحش، أنا هقوم أصحي والدتك تعملك كوباية شاي بلبن وتجهزلك هدومك علشان ما تتأخرش على المدرسة.

الشاب: مدرسة! ياوالدي أنا عندي ٣٥ سنة! وأمي ماتت من زمان!

الأب: ماتت؟! الله يرحمها.. طيب نام شوية علشان ما تتأخرش على معاد السحور!!!

الشاب: حاضر يا والدي هنام، بس خليني أنام هنا جنبك علشان أنا خايف

الأب: طبعاً ياحبيبي وهصحيك نصلي العيد سوا ما تقلقش هاخدك معايا إنت وأمك لما ترجع من العمرة.

(البيت الثالث عشر)..

صاحبه كان الشيخ علاّم إمام الجامع وبيقول إنه روّح لقى مراته وعياله نايمين والبيت هادي وساكت، فاتطمن وأكل لُقمة وقعد في الصالة يتفرج على التلفزيون وعينه غفّلت وهو مشغل التلفزيون، صحي على صوت مخيف بيقوله:

إصحى ياشيخ علّام، الغريب دنّس البير

إصحى ياشيخ علّام، الغريب دنّس البير

بيقول فتّحت عنيا على الصوت وبصيت حواليا ملقيتش حاجة وقال ده أكيد كابوس، قام يطفي التلفزيون علشان يدخل يكمل نوم في الأوضة شـــاف حاجة غريبة لاحظ إن الفيلم إللي شغال في التلفزيون فيه حاجة غريبة المكان إللي في الشاشة ده المنطقة بتاعة البير بتاع البلد، الشيخ قام قعد مكانه! وقال: إيه ده!!

الصورة كانت بتعرض البير والجو كان المغربية وظهر شاب من ضهره ماشـــي ناحية البير وعمال يبص حواليه يمين وشمال كأنه حرامي.

بيقول الشـــيخ علّام إنه شاف وشـــه لكنه معرفوش، وفضل الشـــاب ده ماشي ناحية البير وأول ما وصله وطى يبص عليه من جوا، وطلّع تليفونه علشان يتصور والبير ورا منّه (صورة سيلفي).

وهو بيتصور وشه إترعب وجسمه إتنفض كأنه شاف في الموبايل بتاعـــه حاجة مش ظاهرة في إللي بيتعرض في التلفزيون.

الشاب إتجمد مكانه ورمى التليفون بعيد ناحية الزرع، وقام طلع على طرف البيـــر بهدوء، وقام ناطط جوا البير والصورة إتشوشـــت ورجعت للقناة إللي كان الشيخ علّام مشغلها!

الراجل بعدها بكام يوم راح عند البير قلب الدنيا لحد ما لقي الموبايل فتحه، وشاف الصورة إللي الشاب صوّرها، كانت صعبة أوي.

الشـــاب متصور ووراه وحش أسود عينيه جمرتين من نار وكان في المكان إللي شـــافه بيترمي فيه وواقف ورا الشاب وطاير في الهوا!

من بعدها الشيخ علّام قال لأهل البلد إن الشاب كدة نال عقابه وإنه هيشوف طريقة يخلي البير يسامحنا ونرجع زي ما كُنا، ومن يومها وهو بيحاول، لحد ما الست العجوزة جدة الراجل صاحب البيت رقم ١٤ حكت حاجة غريبة أوي.

بتقول إن البير ده له حكاية قديمة والكل نســيها أو تناساها! ومحدش فاكر أصلها وبدايتها.

نادر: حكاية إيه؟!

بتقول إن البير زمان كانوا بيرموا فيه الشباب والبنات الملبوســـين ويخرجوا منه والمسّ إللــــي عليهم مختفي نهائي، وكان ده بيحصل بس في أيام ١٣ ، ١٤ ، ١٥ وإن أي حد كان عليه جن بمجرد مـــا ينزلوه في البير يخرج منه سليم متعافي وكانوا بيرموا الملبوسين في التلات أيام دول بس وكان إسمهم أيام النور..كلامهم متناقض ما تفهمش بيروحوا في الأيام دي ولا ما بيروحوش يا أستاذ نادر

تقدر تقـــول 3 أيام للعلاج وباقي الشــــهر للشـــرب والموضوع مكتّمين عليه والبلــــد حالها هادي، ومحدش عنده المعلومات دي.

لحد ما في مرة نزل ١٣ شــــاب ومرجعوش تاني والبلد إتقلبت والكل إعتبر إن البير غدر بيهم، وخان العهد القديم مع أهل البلد!

والناس والأهالي مُخها إتلحس وبقت بتعامل البير إنه بني أدم وتروح ترمي فيه زبالة، والأغرب إن البير نفســـه إستجاب ولفظ الشباب برا لكنهم كانوا كلهم ميتين، الدنيا قامت ومقعدتش والناس حلفوا إنهم يهدوا البير ويردموه، مجرد ما فكروا فـــي الفكرة دي الخراب حـــلّ على البلد والبيوت إتملت خوف ورعب وحزن بدون سبب!

لحد ما خرج في يوم شـــاب كان صاحب واحد من إللي ماتوا في البير، وقـــال إن صاحبه في مرة قبل مايتزل هو وصحابه قاله أنا هنزل وهاخد واحدة غريبة عن البلد معايا تحـــت! فضل يقنعه إن ده حرام ومش عارفين البير ممكن إنتقامه يكون إيه!! إرجع عن إللي في دماغك!

لكنه صمـــم ونزل فعلاً وخرج مـــن غيرها وقاله وهو غاضب البير خطفها مني! أنا هنتقم منه شـــر إنتقام! أنا محدش ياخد مني حاجة تخصني.

وقاله إنـــه هيجمع شـــباب وهينزلوا يـــدوروا عليها وهيدنسوا ميّة البير بميّة قاري عليها ساحر طلاسم...

حاول يُثنيه عن الفكرة بس رفض وطلب منه مايحكيش لحد أي حاجة لحد ما يرجع هو والشباب من البير، ونزلوا في نفس أيام النور وبعدها حصل إللي حصل!

أهل البلد لما عرفوا إللي حصل راحوا لحد من المشايخ الكبار طلب منهم خِلوة أسبوع ويرجعوا له قالهم:

خلاص البير غضب إنســـوا تماماً إنكم تنزلوا أي حد إلا لو وصل لمرحلة صعبة من الشــــر والأذى ومحدش عارف يســـيطر عليه ووقتها يا إما البيـــر هيعالجه أو هيقضي عليه ومش هتشــــوفوه أو هيلفظه ربما حي وغالباً ميت، ووارد البير يغضب لو حد راح من باب الفضول.

غير كدة الثلاث أيام بتوع النور دول لازم محدش يقرب من البير تماماً إلا لو هتعملوا حكاية إنكم فاقدين الأمل في حد خلاص.

- الثلاث أيام إتحولــــوا من أيام النور للأيام المحظورة والكل بقى بعيد عن البير فيهم تماماً!!!

وده معناه إن الشــــاب إللي راح من باب الفضول تسبب في غضبه جديدة للبير نشر بسببها الفزع في البلد كلها

في بيوت العشـــرين راجل إللي خرجوا يشوفوا أيه سبب الصرخات في الليلة دي!

ومن وقتها يا أستاذ نادر والبيوت زي ماقولتلك في كرب شديد، والبير نشف وأعلن غضبه من جديد، وأنا واثقة فيك إنك هتعرف تحل المشكلة دي وتقولنا الحل إيه!!

(البيت الخامس عشر)..

نادر(مقاطعاً): خلاص كفاية إللي ســـمعته أنا عاوز أقابل إللي راح البير مش قولتي تقريباً إسمه زياد؟

فرح: للأسف إختفى

نادر: أمال عرفتوا إزاي إنه راح؟

فـــرح: هو راح وإعتـــرف وحكى إللــــي حصل وبعدها إختفى تماماً وبعدين طلع هو إللي الشيخ علاّم شافه في التلفزيون.

نادر: أنا بردو مش فاهم فين المشـــكلة هي الناس دي بعد إللـــــي حصل في بيوتها ده جرالهـــا حاجة تاني؟ ولا الموضوع خلص عند كدة؟

فرح: ما شـــافوش يوم عدل من وقتها مع إنهم ملهمش ذنب ومعملوش حاجة، بـــس مجرد ما يبعدوا عن بيوتهم الدنيا بتهدى والمعاناة بتقل كتير.

نادر: خلاص محلولة يســـيبوا البيوت، فين المشـــكلة بقى؟

فرح: المشكلة إن البير جف تماماً

نادر: خلاص إشربوا من أي حاجة تانية

فرح: هو إيه إللي نشرب من حاجة تانية هو إنت طالب 10 ألاف جنية علشان تقول إشربوا من حاجة تانية!!

نادر: لا حضرتك إنتي فاهمة غلط أنا مش شـــغال في وزارة الري!

فرح: أمـــال قارفني وقارف الناس كلها إنك حلاّل العقد ليه؟ لما إنت مجرد صحفي ما تبقـــاش تتفرد تاني على الناس وتتنك على الخلق.

نادر(متهكما): أوعدك المرة إللي جاية وأنا جاي هجيب العصا السحرية وأقف قدام البير وأقوله «أبرا كدابرا» وأقوله رجّع الميّة يا بير ياوحش من تاني وإلا هزعلك

فرح: ما تطلّع الكتاب وتشوف حل فيه

نادر: كتاب!! إنتي عرفتي منين إن أنا معايا كتاب.

فرح(بإرتباك): ماهو..ماهو..ماهـــو أكيد بيبقى معاك كتاب زي شمس المعارف وكدة بتســـتعينوا به ما كلكم شبه بعض.

نادر: بقولـــك إيه أنا من الأول مش مرتاحلك وشـــاكك فيكي، إنتي مين إللي زقك عليّا؟

فرح: أنا لازم أمشـــي دلوقتي علشان إتأخرت، بعد إذنك وهكلمك تاني.

نادر(ماسكاً بذراعها): لا مفيش مشي، تروحي فين؟ هو دخول الحمام زي الخروج منه يا حلوة؟!

- وبحركة مُباغتة شـــدّ نادر النقاب من على وش فرح وصرخ بإنزعاج شديد!

إنتي!!!

إنتي!!!

نادر: إيه ده؟!! إنتي إيه إللي جابك هنا؟!

فرح: جاية علشـــان أفوّقك وألحقك زي ما لحقتك كتير قبل كدة، هي يعني أول مرة!

نادر: أنا مش فاهم حاجـــة يعني كل الموضوع ده كله إشتغالة؟!

فرح: معرفش، أنـــا جاية في مهمة محددة وواضح إني فشلت فيها يا نادر.

نادر: إنطقي يا مـــروة إيه إللي جابـــك هنا، وعرفتي موضوع الكتـــاب منين بدل ما أكلم خالتي صفية وأطربق الدنيا على دماغك، إنطقي يامروة!!

مروة: لا متتعبش نفسك وتكلمها أو تكلم أي حد مش مستاهلة.

نادر: يعني إيه؟

مروة: بص حواليك كويس يا نادر وإنت تفهم.

الفصل الحادي عشر

(العصابة والبئر)

- بصيـــت حواليا لقيت خالتي صفية خارجة من وســـط الغاب قولتلها: إنتي بتهببي إيه هنا! إنتي كمان؟

ومن الناحية التانية ظهرت أمي وزاد تعجبي أكتر!

ومن ناحية ثالثة ظهر الحاج مختار وإنضم للمشـــهد ووراه عُلا واقفة بتبصلي بتحدي قولتلهم: إيه إللي جابكوا هنا، إنتي إللي جبتيهم يا مروة؟ ولا إنتي يا عُلا هانم؟!

ومن خلف مروة ظهر كرسي متحرك قاعد عليه الشيخ لطفي وشكله تعبان جداً، مكانتش دي صدمتي، صدمتي الحقيقية كانت في إللي بتزُق الكرسي بصعوبة، عارفين مين؟

أمنية أختي إللي لوهلة حســـيت إنها أمي من شعرها الأبيض وتجاعيد وشــــها ولولا إني لســـه شايف أمي كنت مســـتحيل أصدق إن دي أختي أمنية وســـمعت صوت من ورايا بيقول: عرفت مين الروح الثالثة يا نادر؟

لسه بردو مش فارق معاك؟!

لسه مش فارق معاك إن أختك كبرت وعجزت لدرجة إنك مش عارف تفرّق بينها وبين أمك؟

دلوقتي غُلا وأمنية وأنا، إنت الســـبب في إللي حصلنا إحنا التلاتة.

نادر: أسكتي يا هالة..بقولك أسكتي..اخرسي

نادر(صارخاً): إنتوا عاوزين مني إيه؟ أنا مليش ذنب في إللي حصلك يا أمنية، ولا إنتي يا ســـت غُلا، إنتي بتبصي كدة ليه يا أمي؟

إيه ياحاج مختار دلوقتي بقيت أخرس ما بتنطقش؟!

إيه ياشـــيخ لطفي لســـه فيك نفس؟ تكونش فاكرني ملبوس ولا حاجة وجـــاي تقرا عليّا وتعمل الشـــويتين بتوعك؟

الشـــيخ لطفي: ياريتني كنت أقـــدر مكنتش إتأخرت، أنـــا جيتلك أكتر من مرة في رؤيا ليك، وبقيت أنادي عليك بصوتي وأحذرك وأقولك إرجع لكـــن إنت إللي في دماغك مصمم تعمله، أنا جيت علشـــان أقولك فوق ياناادر إرجع نادر إللي أنا ربيته وعلمته يابني.

اللهم يا حنّان يا منّان يا واسع الغُفران...

جري نادر على الشيخ لطفي وخبط الكرسي إللي قاعد عليه وقعه به وبعِد عنه.

زعق الحاج مختار وجري قعّده على الكرســـي ورجع نادر وقف وســـطهم كلهم وعنيه بتلف عليهم واحد واحد زي المجنون.

وبيقول: عملتوا إللي إنتـــوا عاوزينه، ومفيش حاجة هتتغير، أنا مش عاوز أعرفكوا تاني في حياتي، مش عاوز أقابل حد فيكم ولو صدفة، من النهاردة أنا يتيم الأب والأم ومليش إخـــوات مليش معارف مليش قرايب، وبحذركم أي حد ويكررها أي حد هيحـــاول يتواصل معايا هيندم ندم عمره يا عصابة.

وفي وســـط المواجهة إللي كانت بيني وبينهم سمعت صوت بعيد مش مألوف أوي بالنســـبالي طالع من وسط الغاب في الضلمة بيقول:

- يا من جرت بيننا وبينكم العهود

- أقسمت عليكم بربي وربكم الواحد المعبود

- أن تحضـــروا إلينا من الأرض السـفلية ومن باطن الأخدود

- لتلبوا النداء وتطيعوا أمرنا بكرمكم المعهود

- إنه عبداً ضلّ وأبى التقويم

- كُنا نعهدهُ صالحاً لربه خالص التسليم

- سيطر عليه شـياطين الإنس بتسليط من الشيطان الرَجيم

- فلتحضروا الآن ولتكونوا دعماً لنا أيها الأعوان

- أيقظوه ولما حدث له انظروه

- وعن الغُمة السوداء اكشفوه

- وعم مسار الشيطان أزيحوه

- إحضر يا حبّاب أو من ينوب عنك

- إحضر يا عزازيل أو من ينوب عنك

- إحضر يا زوّبعة أو من ينوب عنك

- إحضر يا مِقلاص أو من ينوب عنك

- إحضر يا دهّار أو من ينوب عنك

- إحضري يابنت شمهورش أو من يذوب عنكي
- إحضري يابنت زحالِف أو من ينوب عنكي
- إحضري يابنت الأحمر أو من يذوب عنكي.

فضل صوت الشخص المجهول يتردد وأنا مش شايفه، ولكني شـــايف في ركن بعيد الدليل العجوز وهو بيبص بمنتهى الغضب وبيقولي: إهرب دلوقتي قبل ما يقتلوك.

رجع الصوت يكرر الطلاســـم لكنه كان بيعلى ويشتد قوة، وفي نفس الوقت بـــدأت أحس بضعف غريب والدنيا بدأت تضلم في وشـــي، ودوخة شديدة بتهجم عليّا، مديت إيدي بسرعة جوا الشنطة علشان أطلع الكتاب لقيت أمنية بتتكلم بصوت مُجهد تعبـــان وبتقولي: بتدوّر على ده يا نادر؟

جريت زي المجنون عليها علشـــان أخد الكتاب منها هجم عليّا عم مختار وظهر مدبولي إللي معرفش جه إمتى هو كمان وكتّفني معاه وشالوني الإتنين، ولقيتهم رايحين بيّا على البير وســـمعت الراجل العجوز بيقولي: هيرموك

دلوقتي في البير يا مسكين حتى أقرب الناس ليك قرروا يموّتوك.

فضلت أقاوم بشراسـة لكنهم كانوا أشد وأقوى مني الإتنين مع بعض، وبعزم ما فيهم وصلوا الإتنين بيّا للبير وبنظرة سريعة مني شوفت الآتي:

أمي بتصرخ وبتقول: سيبوا إبني

أمنية وقعت على الأرض ومنهارة من العياط

مروة وخالتي صفية حاضنيـن بعض وبيعيطوا هم الإتنين وبيصرخوا

الشيخ لطفي رافع صباعه وبيبكي وبيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون..إنا لله.....

عُلا واقفة مُتبلدة المشـاعر مقدرش أقول فرحانة ولا زعلانة ولا فاهمها.

والراجل العجوز مديني ضهره وماشـي بعيد سايب المكان.

وشخص في وســط الغاب واقف لسه بيكرر الطلاسم ظاهر جسمه لكن وشه مش باين من الضلمة.

وإترميت في البير وســامع صدى صــوت أمي وهي بتصرخ وبتقول: إبنـــــــــــــي.

الفصل الثاني عشر

(الآثـــــــم)

مقـــدرش أقول إن أنا فقدت الوعـــي أول ما وقعت في البير بس أنا إللـــي متأكد منه إني غبت عن الوعي بمجرد ما سابوني أقع.

عايزين تعرفـــوا حاجة كمان؟ أنا بدأت أشـــوف رؤية غريبة جداً بمجرد سقوطي في الهوا، رؤيا فسرت وشرحت كل حاجة كانت غامضة عليّا وهتوضحلكم كل إللي حصل من الألف للياء.

كنت بتفرج على كل حاجة كأني بشوف أحداث فيلم أنا البطل فيه وفي نفس الوقت أنا المتفرج الوحيد عليه.

شوفتني في مكتبي وشوفت مديولي برا المكتب بيحاول يلزق جواب مفتوح علشان مايبانش إنه فتحه، وخبطِ على باب المكتب ودخل حطلي كوبايـــة عصير البرتقال وبدأ وصلة رغيه المعتادة وإللي إنتهت بإنه ســلمني الجواب، فتحت الجواب بشخصية نادر إللي بشوفها وبشخصيتي أنـــا قدرت أقرأ إللي مكتوب في الجواب كان جواب مختلف تماماً عن أي جواب جالي قبل كدة، كان مكتوب فيه جملة

واحدة بس(أنا مُعلق بين الحياة والموت أرجوك أنقذني عن طريق الإسقاط النجمي).

شــــوفت نادر عمال يقوم ويقعد في المكتب وهيتجنن من الحيرة، إتبدل المشهد ولقيت نادر في البيت في أوضة نومه قاعد على كرســــي في حالة إسترخاء تام لا منه نايم ولا منه صاحي، فضل الوضع ده مدة طويلة مش عارف قد إيه لحد ما فجأة بدأ نادر يتنفض كأنه بيتكهرب، وركزوا معايا كويس في إللي هقولهولكم دلوقتي..

أبطال المشهد (أنا متفرج وراوي، نادر بطل المشهد).

ظهر بطل ثالث، البطل ده هو طيف خرج من جســـم نادر وبدأ يحوم في الأوضة، يعني يا جماعة إحنا بقينا 3 نادر

(واحد على كرسي ســـطيحة نايم تماماً والتاني طيفه إللي بيتجول في الأوضة والثالث أنا المتفرج).

نادر الطيف كان بيطير في الأوضة ومســـتمتع بحالة الحريـــة إللي بقى فيها، حاولت أكلمـــه لكني أيقنت إني مجرد مُشاهد للفيلم إللي قدامي والمتفرج عمره مابيكلم

بطل الفيلم والفيلم شـــغال، فإكتفيت إني أكمل مشاهد وخصوصاً إن باب الأوضة إتفتح ودخلت هالة!

شافها طيف نادر وهي كمان شافته وبدؤا يتكلموا مع بعض..

نادر: إنتي شايفاني؟

هالة: ما أنا إللي خليتك تبقى كدة علشان أعرف أتواصل معاك أسهل

نادر: يعني إيه؟

هالة: أنا صاحبة الجواب يا نادر

نادر: معقـــول!! وليه بعتالي جواب ما إنتي لما بتحبي تشوفيني بتعرفي توصلي لي

هالة: للأسف، مبقاش ينفع زي الأول وبعدين خلي بالك أنا قدامي مدة بســيطة ولازم أمشي فمش عايزين نضيع وقتنا في كلام فاضي ملوش لازمة، أنا جيالك علشان أقولك إن في فرصة أرجع تاني للدنيا بني أدمة من لحم ودم.

نادر: بجد إزاي؟! قولي لي.

هالة: الموضوع كله في إيدك إنت

نادر: قوليلي أي حاجة أقدر أعملها ومش هتأخر يا هالة.

هالة: أي حاجة يا نادر؟

نادر: هالة أنا بحبك وبرغم إن علاقتنا دي غريبة ومش عارف نهايتها هتكون إيه، لكني مكمل وإنتي جاية دلوقتي تقوليلي إن ينفع ترجعي للدنيا، وأنا بقولك أؤمريني وأنا هنفذ

هالة: كل المطلوب منك يا نادر إنك فعلاً تنفذ لكن بشرط

نادر: موافق من غير ما أعرف.

هالة: الشرط إنك ماتفكرش ولا تجادل في أي حاجة هطلبها منك أو هتشوفها

نادر: حاضر

هالة: هتلاقي وراك على الأرض إبريق أقلع هدومك كلها وصُب على نفسك من السائل الموجود في الإبريق ده.

نفّذ طيف نادر الطلب الأول وصب على جسمه العاري من الإبريق سائل أسود أشبه بالزيت، كان كل ما يصب على نفسه كان جسم نادر النائم يصاب بتشنجات عنيفة ولما يوقف صب السائل يطلع دخان من جسم نادر النائم كأنه بيتحرق، فضل طيف نادر يكرر نفس الأمر لحد ما السائل خلص، بص لهالة إللي إبتسمت ببراءة وقالتله:

هالة: إتبع الدليل يا نادر

إتبع الدليل وإقبل التغيير

نادر: يعني إيه؟

هالة: هنتقابل تاني يا نادر قريب، أنا همشـــي بس ما تنساش تتبع الدليل وتقبل التغيير

إختفت هالة وهمّ طيف نادر بالعودة لجسد نادر النائم لكن إستوقفه مشهد لفت نظري أنا كمان كمشاهد، شوفت حاجة بتحفر جـــوا الحيطة وعاوزة تخـــرج، ولما ركزت شوفت ضوافر صغيرة، قلبي إتقبض جداً وأنا بتخيل شكل الوحش أو الجن إللي هيخرج من الحيطة.

كنت أنا وطيف نادر في حالـــة تجمد الثواني بتعدي علينا ســـاعات في إنتظار خروج الوحش من الحيطة لحد ما خرج.

بدون ترياقة الوحش لم يكن ســـوى فـــار أيوة زي ما بقولكم كدة فار أســـود داكن جداً، وإبتسمت من سخافة الموقف وتابعت الفار بعينيا إللـــي قرّب من طيف نادر وإســـتغربت إنه شايفه، حاول طيف نادر إنه يداعب الفار بشـــكل طفولي لكن لاحظت إن الفار عمال يتحرك لمكان ويرجع لطيف نـــادر تاني أكتر من خمـــس مرات وكأنه بيقوله تعالى ورايا، الرسالة وصلت لطيف نادر وبالفعل خرج ورا الفار من باب أوضته وأنا وراهم.

برا أوضة نادر مكانش البيت، كان منطقة نائية مُقفرة جداً بيتوسطها بير، هو نفس البير إللي إترميت فيه.

طبعاً طيف نادر كان بيتعرف على البير لأول مرة يعني مشـــافوش قبل كدة زي ما أنا شوفته، يعني أقدر أقول إن إللي بشوفه دلوقتي ده عبارة عن فلاش باك لحاجة حصلت قبل ما أعرف أي حاجـــة عن البير ده، بس الغريب إنها لو

فلاش بـــاك إزاي أنا مش فاكر حاجة من الكلام ده، توهتوا مني صح؟

تعالوا معايا واحدة واحدة كـــدة، البير أنا أعرفه، لكن الطيف مايعرفوش فده دليل إنه لســـــه مجاش البير وإللي حصل ده حاجة قديمة بس في نفس الوقت الحاجة القديمة دي أنا مش فاكرها خالص.

على العموم أصبروا وكل حاجة هتوضح أكتر.

الفار جري بســـرعة ونط في البيـــر طبعاً طيف نادر بدون تفكير جري وراه علشـــــان يلحقه ووطى يبص في البير لقي في وشه ريح شـــديدة خارجة من البير وقعته على ضهرة في الأرض، ومن البير خرج كيان أسود مُخيف غير متناسق بيصدر صوت مرعب خارج من البير وشايل جسد نادر إللي إحنا سايبينه نايم على الكرسي في الأوضة.

إنحنى الكيان المخيف ووضع جســـد نادر النائم على الأرض، ولقيته ركع، مكانش بيركع لنادر ده كان بيركع لحد واقـــف الناحية التانية من البير دققت نظري في الضلمة علشان أعرف هو بيركع لمين فكانت الصدمة الكبرى

كســــــاب!!!!!

أخر شــــخص كنت أتوقع إني أشوفه، أصابني حالة من اللخبطة الشـــديدة، أما طيف نادر فلو قولتلكوا إنه جاله إنهيار عصبي مش هكون ببالغ، كان بيجري زي المجنون هنا وهناك يطلع فوق الأرض ينـــزل يدبدب زي الأطفال ويصرخ..إنت..إنت..إنت!!!

إبتسامة كساب كانت كفيلة إنها تدب الرعب في طيف نادر وفيّا أنا كمان كمشاهد وفي الجثة المرمية في الأرض لو صحيت.

شكيت لوهلة أن كساب شافني لكني بعدها أتأكدت أنه كان بيبص لطيف نادر وهو واقف جنبي.

أطلق كساب ضحكات زلزلت المكان حرفياً.

قد إيه برغم إنه في الأخر بشـــر إلا إنه له سطوة مُرعبة وبطش هائل!

طيف نادر: أنا مش فاهم حاجة إنت بتهبب إيه هنا؟

كساب(ســـاخرا): أصبر عليّا يا صديقـــي العزيز لما أخترق وتحترق

طيف نادن: تخترق إيه ومين إللي يحترق؟!

- بنظرة وبإشـــارة من كســـاب إنطلق الكيان الأسود المرعب على جسد نادر النائم وتحول هذا الكيان المخيف إلى غبار أســـود فضل ينكمش لحد ما رجع لصورة الفار من جديد.

هجم الفار على وش نادر النائم وبإيديه الصغيرة فتح بوق نادر ودخل جواه.

رجعت الرعشـــة من جديد لجسد نادر وصاحبها المرة دي نوبة ترجيع لســـائل أسود بيخرج من بوق نادر(نفس السائل إللي طيف نادر صبه على نفسه).

كان طيف نادر واقف بيرتجـــف من المنظر وأنا كنت بتمنى أفوق من الكابوس ده وعمال أسأل إيه دخّل كساب بجواب هالة؟!

أنا هتجنن إيه العلاقـــة بينهم؟ ماهو لو إللي في بالي صح وكساب ســـخّر هالة وخلاها طُعم يجيبني به يبقى

الموت عندي أهون مليون مرة من إني أكتشـــف تواطؤها مع عدوّي اللدود.

قطع كسّاب دوامة تفكيري وهو بيقول لطيف نادر:

كسّاب: فضيتلك ممكن بقى نتكلم تحب نبدأ منين؟

أقولك أنا هحكيلك وهريّحك.

أنا المرادي يا نادر جايلك مخصوص علشان أطبع عنك أقـــذر ذكريات في ذهن كل حبايبك، أمـــك، أختك، مختار الأهبل، لطفي المومياء، حرمنا المصون مروة، وأي حد تاني كان شـــايف فيك لا مؤاخذة قدوة هخليه يلعن اليوم إللي شافك خلقتك فيه، وماتسألنيش إزاي إنت هتشوف كل ده بعنيك هتفوق هتلاقي أزبل نسخة منك في طريقة تعاملك معاهم، لأ وإيه إنت هتكون مقتنع تماماً إنك كدة صح وإن كل إللي حواليك شـــوية حوّش وحشرات علاجهم الدهس حتى حوارنا مع بعض ده مش هتفتكر منه ولا حرف.

طيف نادر(مصدوما): مستحيل أبقى كدة!!

كشّاب(ضاحكا): لأ هتبقى كدة ونص، إنت هتصحى يا صديقي تلاقي نفســك نسخة بالكربون مني وأوعدك أني هكون معاك لحظة بلحظة بـــس في صورة راجل عجوز طيّب من الناس الهبلة إللــي بتاكل عقلهم بحواديت قبل النوم بتاعتك وهيكون إسمه الدليل.

إكتفيــت ولا تاخد تاني؟ بص ياســيدي إللي ظهرتلك دي مش هالة بتاعتك، بس أوعــدك حبيبة القلب هتظهر بجد وهخليك تخســرها زي ما هتخسر كل دايرة معارفك المتخلفة، وسواء إفتكرت حوارنا ده أو ما إفتكرتوش أحب أقولك أنا علّمت عليك وبالقوي، وأســـطورة إن الخير لازم ينتصر على الشـــر إللي بتضحكوا علـــى الفقرا بيها أنا دمرتهالك، ولو عندك الشـــجاعة بعد ماتفتكر كل حاجة إطلع وإحكي للناس.

ونزّل كتب وإكسب منها وقول للناس نادر إبن المعلم فودة إتهزم يا رجالة.

- ثم إنفجر كشّاب ضاحكاً ضحكات جنونية هيستيرية.

طيف نادر: عمرها ما كانت دي النهاية دي حياالله جولة ماكملتش وإنت نهيتها بدري علشـــان عارف إن النهاية دايماً مش في صالحك

كسّاب(بعصبية): طب كفاية شعارات بقى وبطّل وش وسيبني علشان أطفّحك طعم الهزيمة دلوقتي بمزاج.

- توجه كسّـــاب نحو جسد نادر النائم وقام بجرح كف يده وعصرها بالقرب من فم نادر المُستلقي على الأرض، رجعت التشـــنجات من جديد لنادر والمرادي طيف نادر كمان فضل يتهز ويترعش ويختفي ويعود للظهور بصفة متكررة.

كسّاب:

- توحدت أرواحنا

- توحدت دمائنا

- سيطر دمي الفاسد على دمك الماسخ

- بإسم الوقاد الأب الذي خشعت له قبائل الجن

- بإسم أبي الذي رضخ لسطوته أهل الأرض

- بدعم خُدّامي المخلصين
- ويدعم الجن المقربين
- أقُسم على هذا الجسد وهذا العقل أن يُصبح مكروهاً ويُمسي منبوذاً
- إنه بحق راسخ وأبانوخ وعزازيل وملك الأباطيل، إنكم تعلمـــون أن ذلك الملعون قد أذاني في نفســـي وفي أبي فأجيبوا دعوتي وحققوا مُنيّتي.

- توحدت أرواحنا
- توحدت دمائنا
- سيطر دمي الفاسد على دمك الماسخ
- بإسم الوقاد الأب الذي خشعت له قبائل الجن
- بإسم أبي الذي رضخ لسطوته أهل الأرض
- بدعم خُدّامي المخلصين
- وبدعم الجن المقربين
- أقُسم على هذا الجسد وهذا العقل أن يُصبح مكروهاً ويُمسي منبوذاً

- إنه بحق راسخ وأبانوخ وعزازيل وملك الأباطيل، إنكم تعلمـــون أن ذلك الملعون قد آذاني فـي نفســـي وفي أبي فأجيبوا دعوتي وحققوا مُنيّتي.

فضل كسّاب يقوم قد الكلام ده عشر مرات ويعصر دمه أكتر في فم نادرا

بدأت الصورة تتشـــوش وضباب يملى المشهد وأخر حاجة شـــوفتها طيف نادر وهو بيتوحد مع جسده النائم، أما أنا كمُشاهد فحسيت إن الصورة بتختفي تدريجياً من قدامي والدنيا بتضلم.

الفصل الثالث عشر

(توبة مُتأخرة)

صداع شديد وألم رهيب في كل حتة في جسمي، فتّحت عنيا بصعوبة لقيتني في قاع البير جسمي مليان كدمات، وأدركت وقتها إن نادر المتفرج إختفى وطيف نادر إختفى هـــو كمان، وإن إللـــي باقي هو أنا نادر فـــودة الصحفي بجريدة عُمق الحـــدث باب مـــا وراء الطبيعة، الصحفي البائس المهزوم المنكّس الرأس.

كنت عاوز أصرخ لكني مش قادر، نفســـي أزعق وأقول إلحقوني صوتي مش طالع، شوفت من فوق من عند فوّهة البير حوالي خمس أشـــخاص مش قادر أتبين ملامحهم بيبصوا عليّا وحبـــل متعلق وواحد بينزل عليه وبيقولهم يارب يكون لســـه عايش الإرتفاع ياجماعة عالي أوي، هو إزاي وقع في البير كدة ولا حد زقّه ولا إيه؟

دي أخر حاجـــة فاكرها لأني فقـــدت الوعي تاني بس المرادي كان نفســـي ما أصحاش تانـــي وأموت لأني مش عارف هواجه الناس إللي أذيتهم إزاي بعد ما أفوق.

يارب..يارب..كلمة بقالي كتير مـــا قولتهاش، واضح إني إنتهكت كل المحرمات في فترة ســـيطرة كسّاب عليّا، يارب إجعلها دي نهايتي علشان إللي زيّي مايستاهلش في

الحياة فرصة تانية..أنا ما أستاهلش أي شفقة أو تعاطف من أي حد..أنا عاوز أموت..عاوز أموت.

صوت أجهزة الرعاية المركزة بيتسلل لوداني من بعيد وحرب دايرة بيني وبين عدو مجهول، أنا بحاول علشان أفتح عنيا وأفوق وعدوّي بيمنع ده بكل قوته وبيقولي استلم يا نادر

إنتصرت في الحرب دي وقدرت أفتح عنيا لقيتني على السرير في غرفة العناية المركزة في مستشفى، وواقف قدام السرير أمي الباكية، أمنية، الحاج مختار عُلا ومعاهم مروة وخالتي صفية.

بمجرد ما فتحت عنيا بدأوا يتسرسبوا واحد ورا التاني وكلهم بيقولوا لأمي: حمدلله على سلامته يا حاجّة، أمي دموعها مفارقتش خدّها.

نادر(متحدثاً بصعوبة): مكنتش أنا صدقيني يا أمي.. صدقيني..أنا معملتش أي حاجة من ده يا ماما..أبوس إيدك بلاش سكوتك ده.

- إلتزمت أمي الصمت وإكتفت ببكائها

نادر: إنتوا نفسكوا كلكوا كنتم بتقولولي إنت مش نادر صح.

يعني إنتوا كنتوا واثقين إن إللـــي بتتعاملوا معاه ده واحد تاني غيري، طلع كلامكوا صح أنا كان متسيطر عليّا من شـــيطان بيني وبينه تار قديم مابيسقطش بالتقادم وكنت ناسيه ومش فاكر أي حاجة عنه.

والدة نادر: ويفيد بإيه ده يابني؟!

إرتاح دلوقتي ولما تصحى ربّك يعدّلها ويكون الشيخ لطفي فاق من الغيبوبة إللي إنت سببتهاله! ربنا يسامحنا كلنا.

نادر: ماتســـيبينيش يا أمي أنا مش باقي ليّا في الدنيا غيرك، حتى أختي أنا قضيت على حياتها، وأديكي بتقولي الشـــيخ لطفي كمان، بالله عليكـــي خليكي جنبي، أمي ماتبصليش كده، حرام عليكوا.

(- إنهار نادر وفضل يصرخ: بلاش كلكم تسيبوني هو عاوز كدة، ماتبقوش إنتوا وهو عليّـــا، لو عاوزنّي أنتحر قولولي...)

- دخل الدكتور بسرعة وأنا في حالة الهياج دي وحقن المحلول إللي متعلق بمادة مكنتش محتاج وقت علشان أعرف إنها مخدر لأني توهت وغبت عن الوعي في لحظات...

رجعت البير ولمحتها من بعيد، لمحتها قاعدة لبسها متقطع وجسمها مليان جروح، حاولت أقرب منها علشان أقولها سامحيني ياهالة، وبلاش تسيبيني إنتي كمان، كنت كل أما أقرب منها كانت بتبعد وتبصلي بمنتهى الحزن ومابتتكلمش وكأنها بتنفذ وعدها الأخير ليّا إن ده لقائنا الأخير..هالة...أنا..اسمعيني...أنا...هالة...هالة....هالة....

(أول حاجة عملتها لما فوقت تاني طلبت إني أشوف مروة، جاتلي المستشفى..)

نادر: أنا عندي سؤال واحد

مروة: إتفضل يا نادر، المهم تكون نادر إللي أعرفه

نادر: إنتي جبتي منين كل الحكاية بتاعة البير؟ تخريف صح؟

مروة: ماشي ياسيدي مقبولة منك علشان تعبان، أنا لا ألّفت ولا خرفت ولا غيره

نادر: أُمال إيه!

مروة: قصة البير دي حقيقية بالكامل

نادر: وروحتي تشوفيها علشـــان تخليني أنزل البير على العموم هو فعلاً لــــه دور في إني فوقت من إللي كان مســـتحوذ عليّا وإللي طلع(جوز حضرتك المختفي) بس بردو مش فاهم عرفتيها إزاي؟!

فتحت مروة شـــنطتها وطلّعت جواب لنادر وقالتله: إتفضل ده جواب بالحكاية كلها كان المفروض إنه جايلك علشان تروح تحقق فيه وكله عن قصة البير بالكامل!

نادر: ووقع في إيدك إزاي؟!

مروة: مش هتزعق؟

نادر: لأ أنا تعبان أصلاً وبتكلم بالعافية يامروة.

مروة: عم مدبولي الساعي إللي عندك بيفتح الجوابات إللي بتجيلك على طول وبيقراهـــا من باب الفضول، هو بيقـــول إنه تاب من كل حاجة إلا إنه يقـــرا الجوابات إللي بتجيلك..مش عارف يبطل دي.

ولما أمنية أختك جمعت كل الناس إللي بيتعاملوا معاك هو طلّع الجواب ده وحكى لنا على كل حاجة فيه وهو إللي إقترح السـيناريو يمشـي إزاي من أول إني أعمل نفسي فرح صاحبة الجواب لحد ما نقنعك تنزل البير بالذوق أو نشيلك ونرميك في البير بالعافية!

. أمنية جمعت الكل علشان تلحقك يا نادر

نادر: الله..الله ده إنتوا عصابة بقى!!!!

مروة(ضاحكة): بـس عصابة حلـوة كان كل هدفها تلحقك من الطريق الأسـود إللي إنت دخلته، طب تصدق بالله يانادر؟

نادر: لا إله إلا الله

مروة: أنـا قولتلهم إن كسّـاب ورا كل إللي كنت فيه وكلهم قالوا لا كسّـاب أذاه مباشر عن كدة، قولتلهم طبعاً لأ كسّـاب عمره ما هيضر نادر ضرر مباشر أبداً، كسّاب ونادر عاملين زي القط والفار محدش فيهم هيفرح بموت التاني، لكنهم بيستمتعوا إنهم يعلّموا على بعض، وكلامي طلع صح.

نادر: إيه الحكمة دي كلها يامروة؟!

مروة: مش حكمة ولا حاجة أنا عشـــت معاه وعاشرته وحافظاه وحافظاك إنت كمان ياناادر

وعلى فكرة إللي أكدلي إن كسّـــاب ورا إللي حصل إنهم بيقولوا إن كل ما ســـيرته كانت تيجـــي قدامك تقول إنك متعرفش حد بالإسم ده!

وده معناه إنه كان بيلعب ماتش معاك بس ماتش كان سخن من أول دقيقة، كان نفسي النتيجة تكون لصالحك، بس معلش الدنيا غالب ومغلوب مرة فايز ومرة خســـران، والمرادي إذا كنت إنت خســـرت فـ الجايـــات كتير تلعب وترجع نادر إللي نعرفه وتكسب وتردهاله يا نادر.

نادر: ومين قالـــك يامروة إني خســـرت؟ بالعكس أنا كسبت كتير أوي..

مروة: إزاي

نادر: أنا فوقت من الغرور إللي كان بدأ يسيطر عليّا

أنا عرفت غلاوتكم عندي وإني مـــن غيركم ولا حاجة، ومهما كبرت ما أكبرش عليكم.

أنا عرفت أن في حرفياً ناس ممكن تضحي بنفسـها علشاني

أنا عرفت إن النجاح جميل بس مش لدرجة أنه ينسيني أنا مين ومسئول عن مين وعرفت إن طريق ربنا هو الطريق الوحيد الصح.

وكفاية إني عرفت قيمتي عندكم كلكم.

سـامحيني للمرة المليون يامروة، أنا عمري ماهنسى الضرر إللي أنا سببتهولك لما خدتك معايا بيت الملعون الوقاد ولحد دلوقتي بسبب لك كل المشاكل دي!

مروة(ضاحكة): إنت لسـه فاكر، خلاص بقى أنا بقيت حرم الملعون الإبن على سـن ورمح، وفي حكم المطلقة عادي، ركز بس في صحتك وقرّب من أمنية يا نادر، أي نعم صحتها رجعتلها ورجعت صغيرة، بس نفسياً الشرخ إللي إنت إتسببت فيه محدش يعالجه غيرك

نادر: عندك حق يا مروة.

مروة: وعُلا دي غلبانة لو مش ناوي تتجوزها ســـيبها ماتعلقهـــاش بيك، دي بنت حساســـة جـــداً وواضـح إنك بهدلتها جامد معاك!

نادر: أنا عمري مافكرت فيها غير كزميلة، القرف إللي حصلي هو إللي خلاني أتلاعب بمشـــاعرها، أنا مش طايق نفسي بجد!

مروة: هي ملهاش ذنب، صارحها بده يا نادر

وأخيـــراً هالة...إحنا كلنا خلاص عرفنـــا حكايتها من الشيخ لطفي دي الوحيدة إللي مش عارفة أقولك إيه عنها، بس مـــن الواضح إنها إتجرحت جرح كبير أوي وإنت بردو السبب فيه يا نادر بكل أسف

نادر: ماهي علاقة غريبة هي شـــبح وأنا بشر وأنا فعلاً دبحتها بسكينة تلمة

مروة: إنـــت إرتضيت بالعلاقة دي مـــن الأول يا نادر، ماتجيش دلوقتي تقولي إنها علاقة غلط وغريبة.

نادر(مُبتســـما): وكأن أنا أول مرة، أشـــوفك يامروة أنا فرحان بالتغيير إللي حصلـــك ده، وخلتيني فخور إن ليّا

بنت خالة وأخت بالعقـــل والحكمة دي وكلامها كله صح وأقـــدر أرجعلها زي مـــا برجع لأمنيـــة بالضبط في كل مشاكلي.

مروة: إحنا بنكبر يا نادر وكل يوم بيمر علينا بنتعلم فيه خبرات جديدة وبننضج وبنتغير، أنا هسـيبك ترتاح علشـــان أروح أتطمن على مامـــا، بصراحة أهل البلد هنا كرمهم مفيش منه وفاق الوصف، دول فاتحين لنا بيوتهم من وقت ما جينا ولا الفنادق...

نادر: آه والله كتر ألف خيرهم إحنا طوّلنا عليهم وإحنا عددنا كتير بردو.

مروة: ولازم تردلهم يا نادر الجميل!

نادر: أكيد طبعاً، هاتي الجواب، وأول حاجة هعملها إن شاء الله أول ما أخف إني أفك اللغز وأساعدهم بكل طريقة أقدر عليها...

خرجت مروة وســـابتني محمّل بتأنيـــب ضمير أكتر وحزن أعمق، هتسألوني الناس فين؟ هقولكم:

- عُلا إستقالت من الجورنال وإختفت تماماً وبعتتلي رسالة نصها:

إنها مش عايزة تشوفني في حياتها صدفة أو حتى بالغلط، وحسبي الله ونعم الوكيل.

- الشيخ لطفي في غيبوبة تامة، بيفصلني عنه سريرين في غرفة العناية المركزة.

- عم مختار سافر من نص ساعة البلد من غير حتى ما يودعني، بس أكيد هيرجع على الأقل علشان يتطمن على الشيخ لطفي.

- أمي وأمنية موجودين بيدخلوا يتطمنوا عليّا، كل شوية ولازالت أمنية صامتة تماماً برغم إنها رجعت لشكلها الطبيعي هي وعُلا.

- عم مدبولي إختفى وإختفى معاه الكتاب!

السؤال إللي إنتوا بتفكروا فيه أنا بردو بفكر فيه، هل خد الكتاب علشان يخلص منه ولا رجعت ريما لعادتها القديمة؟

وهيرجع مدبولي بتاع زمان.

أنا حاسس إن كلها يومين تلاتة أو حتى أسبوع وهرجع مكتبي وألاقيه فـــي خلقتي بيقولي جملته الشـــهيرة « ماتكتب عني بقـــى هاهاهاها» على إعتبار إني مش كاتب عنه يجي أربع خمس مرات لحد دلوقتي.

-أما عن عدوّي اللدود كسّاب فأنا لحد دلوقتي مش فاكر غير وإللي حكيته لكم إللي معنديش أي دليل ملموس إنه أصلاً حصل يعني ممكن أكون واهم ودوّرت على شـــماعة أعلق عليها كل ذنوبي الأخيرة.

مش هدخل في الدوامة دي علشان مش ناقص دوامات!

الفصل الرابع عشر

(أوراق أخيرة)

الثلاثاء صباح اليوم التالي، الغرفة ١١ بالمستشـــفى العام بالفيوم

نادر جالساً على ســـريره وأمامه أوراق وأقلام وشرايط كاسيت وجهاز تسجيل صغير ويقوم بالتسجيل على أول شريط مكتوب عليه بخط عريض(الخسارة الكبرى).

وبدأ التسجيل قائلاً:

- أدرك أن معركتي القادمة مع نفسي
- أدرك أن عليّ أن أرمم كل ما قُمت بتدميره
- أدرك أن عليّ أن أعالج كل من قمت بإذائه
- أدرك أن عليّ أن أعتذر لكل من أسأت إليه
- أدرك أن عليّ إصلاح ماتم تخريبه.

وفي مقدمـــة تحقيقي أتوجه إليكم بســـؤال هام: هل كل من أوجعناهـــم (حتى وإن كُنا تحت أشـــد الظروف والضغوط) هل يمكننا أن نعود إليهم ونقول لهم بمنتهى البساطة سامحونا..فيسامحونا؟!!

أنا لا أعتقد ذلــك وأرى أنني قد أحدثت شــرخاً كبيراً أصبح من الصعب أن يُرمم مهمـــا كانت الظروف ومهما كانت الأسباب.

كان معكـــم رفيقكم نادر فودة الصحفي بجريدة عُمق الحدث باب ما وراء الطبيعة.

دخلـــت الممرضة عليّا بأجمل بوكية ورد شـــوفته في حياتي، قلبي قالي إنه من عُلا.

أخدته منها وفضلت ترغي وأنا بدوّر على الكارت مش مركز معاها، ملخص كلامها إنها من المتابعين ليّا بشغف وتقريباً عندها كل أعداد الجورنال من أول ما أنا إشتغلت فيـــه، لاحظت الممرضة إني بدوّر علـــى الكارت وبصتلي بخُبث وقالتلي: تدفع كام وتاخده؟

إبتسمت إبتسامة مُصطنعة: إللي تطلبيه ياستي.

خرجت الممرضة من جيبهـــا كارت وإدتهولي أخدته منها بلهفة زي الطفل وقريت المكتوب فيه..

(حمدلله على الســـلامة يا نادر ونلتقـــي فـي جولات أخرى...كسّاب).

رميـــت بوكية الـــورد في وش الممرضــــة بدون وعي، وزعقت، خافت منــــي وطلعت تجري، ودخلت على صوتي أمنية أختي بمجرد ما شوفتها بكيت زي الطفل وإترميت في حضنها وإترجيتها تسامحني.

الحقيقة كعادة أمنية هي أحســــن وأكـــرم بكتير، في لحظة هي نسـيت كل حاجة ولاحظت إني ماسك الكارت ومكلبــش عليه بإيدي، خدته بالراحة من إيدي، بصت فيه وقطعته ورمِته في صندوق الزبالة.

نادر: كسّاب هو إللي خلاني أعمل كل ده فيكم، هو إللي سيطر عليّا أنا عمري ما أءذيكي يا حبيبتي لو آخر يوم في عمري، سامحيني أرجوكي.

أمنية(باكية): مصدقاك ياخويا ومســـامحاك وحتى لو مكنتش رجعت لنادر القديم بردو مسامحاك

نادر: الملعون إتشـــكل لي بمليون شــــكل، مرة راجل عجوز، مرة هالة، مرة وحش ومرة بشـــكله الحقيقي، بس المرة الوحيدة إللي مش قادر أفهم تفسيرها لما جه وإنتوا موجودين عند البير ووقف يقول طلاســــم وهو مستخبي

وسط الغاب ومش ظاهر منه غير صورة غير مكتمله، كان غرضه إيه؟

أمنية: تقصد مين؟

نادر: كشـــاب، أنا مش عارف هو منين عمل كل ده وجه في الأخر يســـاعدكم في إنقاذي ولا هو فعلاً عاوز أعيش علشان يكمّل عليّا!

أمنية: يا نادر مين قالك إن إللي كان واقف وسط الغاب كشاب؟

نادر: طبعاً هو مفيش غيره

أمنية: ياحبيبي ده واحد تاني مش فاكرة إسمه إيه

نادر: واحد تاني مين؟!

أمنية: أصبر بس هفتكر إسمه...اصبر

نادر: إسمه إيه يا أمنية؟

أمنية: ما إنت مش مديني فرصة أفكر..اصبر

نادر: أديني سكتّ أهو فكري بقى.

بعد مدة بســـيطة صرخت أمنية وقالت لنادر: إفتكرت إسمه على ما أتذكر عادل كرم فخر الدين

نـادر: مين؟

أمنية: لا إســـتنى، إفتكرت إسمه عادل كرم الدين...أول مرة أسمع يا نادر الاسم ده، هو مين ده يا نادر

يا نادر.. إنت سكتّ ليه؟

يا نادر..يا نادر..نادر

نادر: هاه يا أمنية... بتقولي حاجة!

أمنية: مين عادل ده؟

نادر: ما تاخديش في بالك يا حبيبتي، اسنديني يا أمنية عاوز أخرج برا الرعاية، عاوز أطلع أقف في أي حتة محتاج أشم هوا نضيف بعد ما الهوا إتمنع عني طول سنة فاتت...



الفهرس